# الفكر السياسي عند محمد عابد الجابري

## الوحدة العربية، الإسلام والديمقراطية

عدوان طالب

**********

## Das politische Denken des Muhammad Abed Al-Jabri

**Arabische Einheit, Islam und Demokratie**

Dr. Adwan Taleb

Tübingen
2012

**********

تعود اصول هذه الدراسة الى بحث تم انجازه في أيار ١٩٩٤

# الفهرس


| الموضوع | الصفحة |
|---|---|
| * مقدمة الدراسة و منهجها | ١ |
| * الفصل الأول: محمد عابد الجابري: | |
| – حياته وروح عصره | ٦ |
| – توجهاته الفكرية | ١٠ |
| – منهجه وأسلوبه | ١٣ |
| – تعامله مع النصوص | ١٥ |
| – العوامل المؤثرة في فكره ومنهجه | ١٧ |
| – مؤلفاته | ٢٢ |
| * الفصل الثاني: الوحدة العربية في فكر محمد عابد الجابري | |
| – مسألة الهوية و الوعي العروبي | ٢٣ |
| – الوحدة الثقافية العربية | ٢٧ |
| – الوحدة و الدولة القطرية | ٣٠ |
| – الوحدة و التقدم | ٣٥ |
| * الفصل الثالث: الإسلام في فكر محمد عابد الجابري | |
| – الدين و الدولة و السياسة: | |
| الدين و الدولة | ٤١ |
| الدين و السياسة | ٤٥ |
| – العروبة و الإسلام | ٤٨ |
| – تطبيق الشريعة الإسلامية | ٥٣ |

| الموضوع | الصفحة |
|---|---|


*** الفصل الرابع: الديمقراطية في فكر محمد عابد الجابري**

- الديمقراطية و الشورى و الحاكمية ٥٩
- الديمقراطية و الوحدة العربية ٦٣
- الأقليات ٦٦
- المرأة ٦٨

*** الخاتمة** ٧٠

*** المصادر و المراجع** ٧٣

# مقدمة الدراسة ومنهجها

**مقدمة:-**

يعتبر الفكر السياسي أحد الفروع الاساسية في دراسة العلوم السياسية، هذا أن لم يكن بمثابة العمود الفقري في دراسة السياسة. ويقصد بالفكر السياسي مجموعة الافكار والنظريات والمبادئ التي تدفع الى التحرك وتكون ضابطاً لسلوك الافراد، فهو عبارة عن التصورات العقلية والذهنية وكل ما يخطر على بال الانسان: حول تنظيمه السياسي كما هو، وكما يجب أن يكون. ويذهب الجابري الى القول أن للفكر جانبين:-

١) أن للفكر مضمون ومحتوى:"أي جملة الأراء والافكار التي يعبر بواسطتها هذا الشعب أو ذاك عن مشاكله واهتماماته، عن مثله الاخلاقية ومعتقداته المذهبية وطموحاته السياسية والاجتماعية، وأيضاً عن رؤيته للانسان والعالم"(١).

٢) الفكر هو أداة أيضاً: "أداة لانتاج الافكار.. (أداة للحكم والمراقبة والتقويم)... ويكتسبها الانسان نتيجة احتكاكه بمحيطه، محيطه الطبيعي والاجتماعي والثقافي، ومن هنا أهمية خصوصية هذا المحيط في تشكيل خصوصية الفكر..."(٢).

**أهمية البحث:-**

لما كنت أشعر بميل شديد نحو دراسة الفكر السياسي بوجه عام، واحس أنه يجتذبني أكثر من غيره من فروع علم السياسة، فقد اتجهت الى دراسة الفكر السياسي العربي (بوجه خاص)، ونظراً لكون المفكر المغربي محمد عابد الجابري أحد الاعلام البارزين في هذا الحقل، في عصرنا الحاضر، ولأهمية هذا المفكر والمواضيع التي طرقها، وجرأته في طرح امور اعتدنا حتى الآن أن نرى من الحكمة السكوت عنها، ولغزارة فكره الذي كان تتويجاً لجهود سنوات طويلة في بحث قضايا التراث الاسلامي.ولقلة من سبق

---

(١)،(٢) محمد عابد الجابري، ***اشكاليات الفكر العربي المعاصر*** (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٠)ص٥١

أن بحث في الجوانب الفكرية عند الجابري، وخاصة السياسية منها... لكل هذا فكرت في تخصيص موضوع هذا البحث لدراسة الفكر السياسي عند محمد عابد الجابري، ومن هنا تأتي أهمية البحث....

## الهدف من البحث:-

بناءاً على ما سبق فان هذه الدراسة تهدف الى التعرف على بعض الجوانب الهامة في فكر الجابري السياسي وذلك من خلال عصره وطبيعة الاحداث التي واكبها، وتركز على رأي الجابري في كل من:- الوحدة العربية، الديمقراطية، الاسلام.وذلك في محاولة للتعرف على امكانية تطبيقها ومدى تناسبها مع الواقع العربي.

## فرضيات البحث:-

يقوم هذا البحث على الفرضيات التالية:-

١) لقد كان لحياة الجابري وبيئته الخاصة والعامة أثر عظيم على فكره ومنهجه.

٢) تمتاز نظرية الجابري الى الوحدة العربية بالواقعية وهي نظرة قابلة للتحقق.

٣) إن نظرة الجابري الى الاسلام تنطلق من استقراءة للواقع العربي الراهن وهي نظرة تمتاز بالنفعية.

٤) تعتبر الديمقراطية ركيزة اساسية في فكر الجابري يبني عليها أمور كثيرة مهمة.

ويحاول هذا البحث الاجابة على مجموعة من التساؤلات تتمثل في:-

* ما هي البيئه الخاصة والعامة التي نشأ، ويعيش، فيها الجابري؟ ماهي توجهاته الفكرية؟ وما هو المنهج والاسلوب الذي يستخدمه في كتاباته؟ وما هي العوامل المؤثره في فكر ومنهجه؟

* كيف ينظر الجابري الى كل من: الوحدة العربية، الهوية، الدولة القطرية؟؟ ما هي العلاقة التي يراها الجابري بين الوحدة والتقدم؟

* ما هي العلاقة بين الدين والدولة والسياسة في رأي الجابري؟ هل هناك تعارض من وتضاد بين العروبة والاسلام في رأي الجابري؟ ماذا يقول الجابري عن تطبيق الشريعة الاسلامية؟

* ما هو رأي الجابري في الديمقراطية؟ وماذا يقول عن الحرية؟ وما هي طبيعة تصوراته للعلاقة بين الديمقراطية من جهة وكل من: الشورى، الوحدة العربية، الاقليات، المرأة؟؟؟

## منهاج البحث وأدواته:-

إن منهج البحث المتبع في دراسة اي موضوع أو ظاهرة يحدد مدى "علمية" النتائج والنظريات التي تتمخض عن تلك الدراسة، وليس هناك منهج واحد يكفي لكي يقدم لنا معرفة كاملة أو فهماً كلياً للعالم المحيط بنا، وهذا بدوره يتطلب منا أن نحصر نطاق اهتمامنا في فئة محدودة من الظواهر، ثم نكيف المناهج المستخدمة لمتطلبات البحث. وعلى هذا فان هذا البحث اعتمد, الى جانب المنهج الفلسفي في بعض المواضيع، على المنهج العلمي وذلك نظراً لطبيعة الموضوعات التي يتطرق لها. أما الطرق والاساليب المستخدمة فتتركز في "طريقة البحث الوصفي: تحليل المحتوى أو المضمون" اضافة الى الطريقة التاريخية في بعض جوانب البحث.

وكان جلُّ اعتمادنا في دراسة فكر الجابري السياسي على المصادر الاولية التالية:-

١) مقالات كتبها الجابري في المجلات والدوريات المختلفة.

٢) مقابلات وحوارات مع الجابري نشرت في بعض المجلات.

٣) كتب الجابري ومؤلفاته: وهذه كانت المصدر الاكثر أهمية في هذه الدراسة.

* هذا الى جانب بعض المصادر الثانوية والتي تتمثل اساساً في بعض المقالات التي تناولت عرض وتحليل كتب الجابري.

## محتويات البحث:-

يتكون البحث اساساً من أربعة فصول وخاتمة، اضافة الى مقدمة الدراسة ومنهجها، حيث يعرض الفصل الأول الى حياة محمد عابد الجابري وروح عصره، وتوجهاته الفكرية، ومنهجه واسلوبه، والعوامل المؤثرة في فكره ومنهجه، ومؤلفاته.

أما الفصل الثاني وتحت عنوان "الوحدة العربية في فكر الجابري" فقد جاء فيه عرض لمجموعة من القضايا ذات الصلة بهذا العنوان، وهي: مسألة الهوية والوعي العروبي، الوحدة الثقافية العربية، الوحدة والدولة القطرية، الوحدة والتقدم.

وتحت عنوان: "الاسلام في فكر الجابري" والذي يشكل الفصل الثالث من البحث، جاء عدة مواضيع فرعية تمثلت في:-

العلاقة بين الدين والدولة والسياسة، العروبة والاسلام، تطبيق الشريعة الاسلامية.

أما الفصل الرابع والذي كان عنوانة: "الديمقراطية في فكر الجابري"، فقد تم فيه مناقشة العلاقة التي يراها الجابري بين الديقراطية والشورى والحاكمية مع توضيح رأيه في الحرية، اضافة الى الحديث عن العلاقة بين الديمقراطية من جهة، وكل من: الوحدة، الاقليات، المرأة، من جهة أخرى.

وجاءت خاتمة الدراسة متضمنة عرضاً موجزاً لأهم الافكار التي تضمنتها الدراسة مع ذكر أهم النتائج التي تكشفت من خلال الدراسة.

## محددات البحث:-

لعل من أوضح صعوبات هذا البحث قلة، بل ندرة، المصادر والمراجع التي تتحدث عن الجابري كمفكر سياسي، وخاصة ما يتعلق منها بحياته ومنهجه والعوامل المؤثرة فيه، وإن كان ذلك يكسب البحث اصالته. علاوة على ذلك فإن البحث مقدم كمتطلب لمساق من ضمن مجموعة من المساقات يدرسها الطالب خلال فصل دراسي واحد (٤ شهور على الاكثر) مما يتطلب من الباحث توزيع جهده على أكثر من عمل.. وعلى هذا فإن الفترة الزمنية التي يفترض إنهاء البحث خلالها، هي من القصر بحيث يكون من الصعب تغطية موضوعات البحث بشكل كامل، هذا اذا ما توفرت جميع الكتابات والمؤلفات التي انجزها

الجابري ذلك أن الحديث عن الفكر السياسي عند الجابري يتطلب، في رأيي، الاطلاع على جميع هذه الاعمال خاصة اذا علمنا أن اسلوب الجابري في الكتابة يمتاز بالتراكمية بحيث يصعب فصل أحد المؤلفات عن الآخر في معظم الحالات. كما واجه الباحث صعوبة في الاتصال بالجابري ( حتى عن طريق المراسلة) وذلك بهدف تغطية الموضوعات بشكل كامل.

# محمد عابد الجابري

## حياته وروح عصره:-

ان المعلومات المتوفرة عن حياة الجابري قليلة جداً، رغم أنه لا زال على قيد الحياة، وفي هذه الدراسة سوف نركز على ما تمكنا من الحصول عليه من ثنايا كتبه واعماله. فالجابري ولد في المغرب عام ١٩٣٦، وهو من منطقة يتكلم أهلها الامازيغية (الجنوب الشرقي للاطلسي) وهي لغة من لغات البربر. و"البربر-أو الامازيغ -في المغرب ثلاث فئات سكانية متميزة، ليس فقط بمناطق سكناهم بل أيضاً بلهجاتهم، هناك سكان جبال الريف (السلسلة الجبلية المحاذية للبحر الابيض المتوسط) ويتحدثون لهجة خاصة تسمى تاريفيت (نسبة الى الروافة، سكان جبال الريف) وهناك سكان جبال الاطلس المتوسط وجزء من الأطلس الكبير ويتحدثون لهجة خاصة ايضاً تسمى تمازيغت (نسبة الى أهلها ايمازيغن)، وهناك سكان الجنوب ما بين مراكش والصحراء المغربية (اقليم سوس خاص) ويتحدثون لهجة خاصة تسمى تشلحيت (نسبة الى أهلها الشلوح). وفضلاً عن أن التفاهم بين هذه اللهجات الثلاث غير ممكن إذ كل واحدة منها قائمة بنفسها مفردات وتراكيب...،

فإن كل واحدة منها ذات لهجات فرعية يصعب في كثير من الاحيان التنفاهم بين من يتكلمون بها"[1]. ويؤكد الجابري على انتشار العلوم العربية الاسلامية عبر عدة مدارس ومراكز علمية منتشرة وموزعة في جميع انحاء البلاد بما فيها المناطق البربرية، و لم يكن القرآن وحده النص الذي يحفظه البربر عن ظهر قلب بل كان كثير منهم يحفظون عن ظهر قلب كتاب سيبوية في النحو وأجزاء كبيرة من معاجم اللغة اضافة الى الحديث والتفسير والخطب العربية القديمة... كل هذا جعل الارتباط باللغة العربية وثقافتها جزءاً من الارتباط بالاسلام وجزءاً بل مقوماً اساسياً للهوية الوطنية لكل مغربي سواء كان من اصل بربري أو من أصل عربي...[2]

---

١) محمد عابد الجابري، "يقظة الوعي العروبي في المغرب: مساهمة في نقد السوسيولوجيا الاستعمارية"، *المستقبل العربي*، ع٨٧(-١٩٨٦) ص٢٠ .

٢) المصدر نفسه،ص٢٢ .

كان العرض السابق ضرورياً حتى نتعرف على البيئة العامة التي تعلم فيها الجابري، حيث أنه لم يبدأ يتعلم العربية الفصحى الا ابتداء من الثامنة من عمره عند دخوله المدرسة. أما الدارجة المغربية فكان يجهلها جهلاً تاماً. ومع ذلك فلقد كان يحفظ القرآن لانه أُدخِلَ المسيد (الكُتّاب) حوالي السنة الرابعة من عمره. ولم يبدأ يتعلم العربية الدارجة المغربية الا حينما غادر قريته للالتحاق بالمدرسة الثانوية في احدى المدن، وعمره يومئذ أربعة عشر سنة. أما الكبار من أفراد عائلته فلم يكونوا يعرفون من العربية الدارجة المغربية الا كلمات وكان منهم من يُتَوفى في سن السبعين أو التسعين وهو يحفظ القرآن وبعض النصوص ايضاً، ولكن يجهل العربية الدارجة المغربية. ويقول الجابري أن عائلته كانت وما زالت تملك شجرة نسب "موثقة" تجعل أفرادها من ذرية فاطمة بنت الرسول العربية القرشية (ومثل هذا الامر ليس حاله خاصة بل أنه سائد في جميع جهات المغرب السهل منه والصحراء والجبل)..[1]

وبعد هذا، لنا الحق ان نتساءل: كيف أثّرت هذه الظروف والاحوال التي عاشها الجابري على فكره ومنهجه؟ ولكن الاجابة تأتي هنا باختصار، على أمل أن توضَّح فيما بعد عند الحديث عن فكر الجابري، وأخص هنا تأثير تعدد اللهجات على فكره، وكذلك رأيه في العلاقة بين العروبة والاسلام، حيث كان لبيئته العامة أثر واضح على فكره في هذه المجالات وغيرها، ولعل هذا سيتضح عند الحديث عنها في هذا البحث.

ويسافر الجابري لاول مرة الى دمشق عام ١٩٥٧ للحصول على الشهادة الجامعية الاولى، وكان فيها في فترة اعلان الوحدة بين مصر وسوريا، فترة المد الناصري، ولعل هذا ايضاً كان له أثر كبير في فكره خاصة وأن تجربة الوحدة هذه لم تدم طويلاً، وسنأتي إلى مناقشة ذلك فيما بعد. وحصل الجابري على دبلوم الدراسات العليا في الفلسفة عام ١٩٦٧، أما موضوع رسالته فيمكن التعرف عليه من قوله:"لقد اتاحت لي شعبة الفلسفة بكلية آداب الرباط فرصة المساهمة في الجلسات الرشدية التي تنظمها دورياً بدراسة عن ابن باجة نقحتها ومهدت لها بجملة ملاحظات و"اقترحات" حول ظهور الفلسفة في

---

١) المصدر نفسه، ص٢٠ .

المغرب والاندلس سبق أن أبديتها لدى مناقشة رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا في نفس الموضوع"[1]. وفي عام ١٩٧٠ حصل على دكتوراه الدولة في الفلسفة من كلية الاداب بالرباط بعد تقديمه لدراسة بعنوان" العصبية والدولة: معالم نظرية خلدونية في التاريخ الاسلامي". ولعل قارئ هذه السطور يلاحظ مدى تركيز الجابري في دراسته على مفكري المغرب العربي وهذا كان له أثر في فكره ومنهجه بشكل عام، وسنلاحظ ذلك عند الحديث عن منهجه، عدا عن مواضيع اخرى في البحث سيشار اليها في حينها. وكون الجابري استاذا للفلسفة والفكر العربي الاسلامي في كلية الاداب بالرباط منذ سنة ١٩٦٧ يعطي شخصيته بعداً آخر جديد.

واعود مرة اخرى الى البيئة التي نشأ فيها الجابري، حيث أنه يؤكد أن المغاربة" لم يكونوا يستسيغون قط الفصل بين الانتماء الى العروبة والتدين بالاسلام، بل لقد ظلوا عموماً لا يتصورون أن يكون المرء عربياً غير مسلم، حيث لم يبدأ التمييز بين "العربي" و"المسلم"– بمعنى أنه يمكن أن يكون شخص ما عربياً متديناً بدين آخر غير الاسلام– لم يبدأ هذا التمييز يدخل في قاموس التصنيفات بالمغرب الا بعد الاحتكاك المباشر بالمشرق العربي بعد الاستقلال، اي ابتداء فقط من أواسط الخمسينات، تماماً مثلما أنه لم يكن يتصور المغاربة اجمالاً قبل هذه الفترة وجود تعدد في الاسلام، بمعنى أن يكون المسلم"المعاصر" سنياً أو شيعياً... فالمغاربة جميعاً سنيون مالكيون... والتصنيف الموجود الذي كان حاضراً في التصور الجماعي في المغرب هو التصنيف الى اتباع هذه الطريقة أو تلك من الطرق الصوفية"[2]. ولعل ما يؤكد جانباً مما سبق ذكره، حادثة يرويها الجابري ، واثارت إندهاشة، كانت قد حصلت معه عند قدومه لاول مرة الى دمشق للدراسة، حيث وجد أن تحية الناس بعضهم لبعض "مرحباً" وهي كلمة اعتاد على استعمالها في المغرب في مقام الترحيب فقط، اما مقام التحية فالعبارة المستعملة هي " السلام عليكم"... وتمر به

---

١) محمد عابد الجابري، ***نحن والتراث: قراءة معاصرة في التراث الفلسفي***، (بيروت: دار التنوير للطباعة والنشر، ١٩٨٥)ص٦.

٢) محمد عابد الجابري، " يقظة الوعي العروبي في المغرب. مساهمة في نقد السوسيولوجيا الاستعمارية"، مصدر سابق، ص ٢٣–٢٤

الايام ليكتشف سرّ اختلاف عبارة التحية في المشرق عنها في المغرب، وهو أنّه في الشام طوائف غير مسلمة، وأنه بالتالي لا بد من كلمات محايدة تُتبادل بها التحية، أما في المغرب حيث السكان كلهم مسلمون فالعبارة الاسلامية في التحية بقيت سائدة لا تثير أي اشكال...[1]. ولكن رغم حديث الجابري هذا، والذي سبق أن أشرت أنه كان له تأثير على فكره خاصة فيما يتعلق بثنائيه عروبة/ إسلام، رغم هذا الا أن كاتب هذه السطور يتساءل: وماذا عن اليهود في المغرب؟ هل يقتصر حديث الجابري السابق على المسيحية؟ هذا ما لم أجد له اجابة فيما وقع بين يديّ من كتابات الجابري (واتركه سؤالاً مفتوحاً علنا نجيب عنه لاحقاً)...

كان ما سبق يتعلق بالمغرب العربي وان لم نكن قد تعرضنا الى الكفاح من أجل الاستقلال وعن المحاولات الهادفة الى زعزعة عروبة المغرب واسلامة ووحدته الوطنية خاصة وأن الجابري عاصر جزءاً منها في مستهل شبابة، ولكن، من جهة أخرى، لا يمكن اهمال الواقع العربي بشكل عام (خاصة بعد استقلال الدول العربية) من ضعف وتخلف وتشرذم ، وزاد الامر سوءاً وجود اسرائيل في قلب العالم العربي باهدافها التوسعية وحروبها مع العرب...فالحديث عن الواقع العربي يطول كثيراً .. هذا الواقع كان له عظيم الاثر في فكر الجابري، كيف لا وهو المعاصر له، ولا يستطيع الانفكاك عنه، فها هو يقول:"إن المرحلة التي يمر بها العالم اليوم–والوطن العربي في قلبه– تتميز بكونها تشهد تحولاً عميقاً وفريداً، تحولاً يرتبط فيه المستقبل لا بالماضي ولا بالحاضر بل بالمستقبل نفسه، بممكناته وفعل الانسان فيه... إن التخطيط للمستقبل يتم اليوم ليس حسب ما كان بل حسب ما يتوقع أن يكون، ليس حسب ما صار با حسب ما سيصير..."[2]. ويعبر عن تأزم الوضع العربي فيقول:"الواقع العربي الراهن الذي يجتاز مرحلة انتقالية بطيئة الحركة متداخلة الخطى يتشابك فيها الزمان والمكان والقديم والجديد تشابكاً يشوش الرؤية ويذكي نار التوتر والقلق ويضفي بالتالي على قضايا الواقع طابعاً اشكالياً،

---

١) محمد عابد الجابري، حسن حنفي، ***حوار المشرق والمغرب*** (الدار البيضاء: دار توبقال للنشر، ١٩٩٠) ص٢٩–

٢) محمد عابد الجابري، ***وجهة نظر نحو اعادة بناء قضايا الفكر العربي المعاصر***(بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٢)ص٢٣

طابع الوضع المأزوم"[1]. أما اولئك الذين يعيشون تجربة خاصة في تفاعل الحضارات فيعبر الجابري عن الوضع الذي يعيشونه بقوله: "ذلك العربي الذي يعرف لغة اجنبية واحدة أو أكثر فهو يعيش ثلاثة عوالم مختلفة: إنه يملك ثلاثة تصورات للعالم: يفكر بلغة أجنبية، ويكتب بلغة عربية فصحى، ويتحدث في البيت والشارع، بل وفي الجامعة، باللغة العامية"...[2]

انطلاقاً من هذا الواقع العربي ومن الطابع الاشكالي في قضايا الفكر العربي المعاصر فإن الجابري يرى أن نزع مثل هذا الطابع الاشكالي أو التخفيف منه على الاقل الى أقصى درجة ممكنة يتطلب القيام بنقد الصورة الذهنية المشوشة للواقع العربي في الفكر العربي وذلك عن طريق تحليلها تحليلاً عقلانياً نقدياً كخطوة أولى على طريق تجاوزها...[3] وهو ما يحاول القيام به في مؤلفاته وكتاباته....

## توجهاته الفكرية:-

يبدو أن هناك رغبة دائمة عند الجابري في عدم الكشف عن توجهاته الفكرية بشكل سافر، واتضح هذا جلياً في حواره مع حسن حنفي ورغبة القراء في كشف القناع عن الخلفيات الأيديولوجيه التي تحكم من يقرؤون له، ومع ذلك فلم يحدد توجهاته بوضوح ونجده يقول أن "القضية الأساسية بالنسبة الي ليست الدفاع عن هذا التيار أو ذاك ولا اعلان الولاء لهذه الجهة أو تلك... كلا، إن قضيتي الاساسية، واعتقد أنها قضية كل مثقف عربي في الظرف الراهن، هي البحث عن "نقط الالتقاء" التي تجعل في الامكان وقوف الجميع في "كتلة تاريخية" واحدة لمواجهة المصير المشترك: مصير الامة العربية ومصير الامة الاسلامية ومصير الامم المستضعفة أيّاً كان دينها وقوميتها "[4]. وفي تقديمه لكتابه "تطور الفكر الرياضي والعقلانية المعاصرة" (الجزء الاول من "مدخل الى فلسفة العلوم") يقول

---

١) محمد عابد الجابري، ***اشكاليات الفكر العربي المعاصر*** ( بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٠)ص١٠

٢) محمد عابد الجابري، ***تكوين العقل العربي*** (بيروت: المركز الثقافي العربي، ١٩٩١)ص٨٠

٣) محمد عابد الجابري، ***اشكاليات الفكر العربي المعاصر***، مصدر سابق، ص١٠

٤) محمد عابد الجابري، حسن حنفي، ***حوار المشرق والمغرب***،مصدر سابق، ص٣٩

الجابري:"لقد التزمت عرض المسائل دون التقيد بوجهة نظر معينة، بل لقد آثرنا عرض وجهات النظر المختلفة، مبرزين "تاريخيتها" ونقاط قوتها أو ضعفها على ضوء تطور التفكير العلمي ذاته. فلا حاجة بالقارئ، إذن، إلى اضاعة الوقت في محاولة البحث عن وجهة نظر المؤلف. فلم يكن المؤلف يطمح إلى بناء وجهة نظر خاصة به في موضوع هو من اختصاص العلماء المختصين، بل كل ما كان يطمح اليه هو أن يتمكن من عرض واضح، قليل الاخطاء، لهذا اللون من الدراسات والابحاث" [١]. ولكن رغم هذا فإن الجابري يؤكد أن الحياد الكامل يكاد يكون مستحيلاً (والحديث يؤكد تأثره بالفكر العلمي الحديث) حيث يتابع فيقول:"إن المؤلف سيكون متنكراً لحقيقة يؤمن بها ، اذا أدعى أنه عرض مسائل هذا الكتاب عرضاً "بريئاً محايداً"، علماً منه بأن كتابةً مهما كانت، لا بد أن تكون منحازة بوعي من صاحبها أو بغير وعي منه. هناك اذاً رؤيا موجَهه، سواء في العرض أو التحليل أو في النقد وابداء الرأي، رؤية تستمد مقوماتها ومؤشراتها من الفكر التقدمي المعاصر، الفكر الذي يكرس العلم والمعرفة العلمية لخدمة الانسان، لتطوير وعية، وتصحيح رؤاه..."[٢].

علاوةً على ما سبق فإن الجابري لا يخفي انحيازه للعقلانية حيث يقول:"...لأن مشروعنا مشروع نقدي، ولأن موضوعنا هو العقل، ولأن قضيتنا التي ننحاز لها هي العقلانية..."[٣]. فتبني العقلانية والدفاع عنها والتنويه برموزها كان هدف الجابري الذي لا يخفيه في عامة دراساته التي أصدرها، وهو ما سيتضح في السطور القادمة. ومن جهة أخرى، فإن الجابري لا يخفي كذلك تحيزه للديمقراطية إذ يقول:"كل كتابة في السياسة هي كتابة سياسية متحيزة، ونحن متحيزون للديمقراطية"[٤]. وسنأتي الى مناقشة الديمقراطية في فكر الجابري لاحقاً...

---

١) محمد عابد الجابري، ***مدخل الى فلسفة العلوم: تطور الفكر الرياضي والعقلانية المعاصرة***، (بيروت: دار الطليعة، ١٩٨٢ ) ص٧

٢) المصدر نفسه، ص٧

٣) محمد عابد الجابري، ***تكوين العقل العربي***، مصدر سابق، ص٧

٤) محمد عابد الجابري، ***العقل السياسي العربي: محدداته وتجلياته***(بيروت:مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٠)ص٣٦٥

ويرى الجابري أن "الفكر العربي الحديث والمعاصر هو في مجمله فكر لا تاريخي يفتقد الى الحد الادنى من الموضوعية، ولذلك كانت قراءته للتراث قراءة سلفية تنزه الماضي وتقدسه وتستمد منه الحلول الجاهزة لمشاكل الحاضر والمستقبل. وإذا كان هذا ينطبق بوضوح كامل على التيار الديني فهو ينطبق أيضاً على التيارات الأخرى باعتبار أن لكل منها سلف يتكئ عليه ويستنجد به.. إنه النشاط الذهني الآلي الذي يبحث عن الحلول الجاهزة لكل المشاكل المستجدة في "أصلٍ" ما... هذا النشاط الذهني جزء—ولو أنه أساسي—من بنية العقل العربي الذي يتعين فحصه بدقة ونقده بكل صراحة، قبل الدعوة الى تجديده أو تحديثه..."(١).

أن نقطة الضعف الاساسية والخطيرة في مشروع النهضة العربية الحديثة، في رأي الجابري، هو أن الرواد "لم يدركوا أو لم يعوا أن "سلاح النقد" يجب أن يسبقه ويرافقه "نقد السلاح". لقد اغفلوا نقد العقل..."(٢). وفي دراسته التحليلية والنقدية للخطاب العربي المعاصر يحاول أن يخلص الى أن إشكال الخلل المعرفي الحاصل في الايديولوجية العربية المعاصرة، بمختلف اتجاهاتها وتوجهاتها تعود الى " شبكة الآثار التي خلفتها فينا مسيرتنا العامة الطويلة منذ انبثاق "العقل العربي"، أي منذ عصر التدوين، ابتداء من منتصف القرن الثاني الهجري، فإلى هذه الشبكة من الاثار يجب أن نتجه الآن بالتحليل والفحص والنقد وإن الحاجة تدعو اليوم أكثر من أي وقت مضى الى تدشين "عصر تدوين" جديد تكون نقطة البداية فيه نقد السلاح... نقد العقل العربي" (٣).

---

١) محمد عابد الجابري، ***نحن والتراث: قراءة معاصرة في تراثنا الفلسفي***، مصدر سابق، ص١٩

٢) محمد عابد الجابري، ***الخطاب العربي المعاصر: دراسة تحليلية نقدية***(بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية،١٩٩٢)ص٩

٣) المصدر نفسه، ص٢٠٧

**منهجه واسلوبه:-**

إن الجابري في مؤلفاته يبدأ بتحديد مصطلحاته سواء اتفقنا أو لم نتفق على هذا التحديد، ولكنه يلتزم بها ثم يعرض قضاياه بشكل منطقي متسلسل يضيف جديداً في التنقيب وفي إعادة قراءة التراث لكي يدلل على هذه المقولات. ولعلنا لاحظنا من خلال الحديث السابق أن الجابري يرى أن هناك حاجة الى تأسيس انطلاقة فكرية عربية جديدة على أساس من النقد المنهجي للفكر وأدواته حتى اذا رجعنا إلى التراث رجعنا اليه بعقول جديدة لا بعقول تراثية، ونتمكن من احتوائه بدل من أن يحتوينا هو، كما أنه بدون تحديث العقل العربي لا يمكن تحديث أي شيء عربي... وتحديث العقل العربي عملية تبدأ بنقده وفحص مكوناته وتحليل آلياته وتناقضاته وعوائق تقدمه. ويتساءل الجابري، مستنكراً، في كتابه تكوين العقل العربي: "هل يمكن بناء نهضة بعقل غير ناهض، عقل لم يقم بمراجعة شاملة لآلياته ومفاهيمه وتصوراته ورؤاه؟"[1] ولعل هذا يعيدنا الى كتابه مدخل الى فلسفة العلوم حيث يقول أن الذي دفعة الى كتابته هو أنه أراد من خلاله أن يجعل "الطلبة والقراء عموماً يمارسون المنهج والمنهج النقدي في ميدان المعرفة النقدية: ميدان العلم"[2].

وعندما بدأ الجابري بكتابة سلسلة "نقد العقل العربي" قال إن "المهمة المضاعفة التي يطمح هذا المشروع الى تدشين العمل فيها: استئناف النظر في تاريخ الثقافة العربية الاسلامية من جهة أولى، وبدء النظر في كيان العقل العربي وآلياته من جهة ثانية. وهكذا انقسم المشروع الى جزئين منفصلين ولكن متكاملين: جزء يتناول تكوين العقل العربي وجزء يتناول تحليل بنية العقل العربي. الأول يهيمن فيه التحليل التكويني والثاني يسود فيه التحليل البنيوي" [3]. والجابري في مشروعه لا يمارس النقد من أجل النقد بل من "أجل التحرر مما هو ميت أو متخشب في كياننا العقلي وإرثنا الثقافي، والهدف فسح المجال

---

١) محمد عابد الجابري، ***تكوين العقل العربي***، مصدر سابق، ص٥

٢) خالد النجار، لقاء مع الجابري "اعادة تأسيس التراث"، ***الفكر العربي المعاصر***، ع ١٢ (أيار، ١٩٨١ ) ص١٦٠

٣) محمد عابد الجابري، ***تكوين العقل العربي***، مصدر سابق،ص٦

للحياة كي تستأنف فينا دورتها وتعيد فينا زرعها.. ولعلها تفعل ذلك قريبا"[1]. أما من حيث المنهج فإن الجابري لا يريد أن يكون مشروعه مجرد تأريخ للأفكار، وإنما محاولة لمتابعة الكيفية التي ترسخت عن طريقها أصول الفكر العربي، لذا فهو يتحدث عن"جنيالوجيا–أو علم أصول– التفكير"[2]. ويرمي الى دراسة أساسيات المعرفة العربية.

مما سبق نلاحظ أن الجابري يتعامل مع التراث ككل (والتراث ليس حاضراً في حاضرنا ومؤسساً له بل هو بعيد عنا مفصول عن حاضرنا) ويسقط الزمن من الحساب ويسقط التطور، فيتعامل معه تعاملاً بنيوياً مع ابرازه لمراحل التطور والتكوين وابراز مظاهر الحياة في الفكر العربي، وهكذا يجمع بين المنهجين: التكويني والبنائي، وذلك بعد أن مهد لهذه الخطوة في كتاباته (العصبية والدولة، نحن والتراث، الخطاب العربي المعاصر) فكان كل كتاب من كتبه تمهيد للذي يليه ومكمل للذي يسبقه . وبصورة عامة يمكن اجمال المنهج الذي يقترحه الجابري ويحاول تطبيقه لتحقيق الحد الادنى من الموضوعية في دراسة التراث، في ثلاث خطوات متداخلة:[3]

* الخطوة الأولى قوامها المعالجة البنيوية ويقصد بها الانطلاق في دراسة التراث من النصوص كما هي معطاه لنا، والانصراف الى مهمة واحدة هي استخلاص معنى النص من النص نفسه أي من خلال العلاقات القائمة بين أجزائه.

* الخطوة الثانية هي التحليل التاريخي وذلك بربط فكر صاحب النص الذي أعيد تنظيمه حين المعالجة البنيوية، ربطه بمجاله التاريخي بكل أبعاده الثقافية والسياسية والاجتماعية، وهذا الربط ضروري لفهم تاريخ الفكر المدروس وجينيالوجياه، وضروري لاختبار صحة النموذج (البنيوي) الذي قدمته المعالجة السابقة، ويقصد بالصحة هنا الامكان التاريخي:

---

١) المصدر نفسه، ص٧–٨

٢) المصدر نفسه، ص١٣٠

٣) محمد عابد الجابري، "التراث ومشكل المنهج"، *المستقبل العربي*، ع٨٣، السنه ٨ (كانون ثاني، ١٩٨٦) ص١٢–١٣

الامكان الذي يجعلنا نتعرف على ما يمكن أن يقوله النص وما لا يمكن أن يقوله وما كان يمكن أن يقوله ولكن سكت عنه.

* الخطوة الثالثة وهي الطرح الايديولوجي ويقصد به الكشف عن الوظيفة الايديولوجية، الاجتماعية السياسية، التي أداها الفكر المعني أو كان يطمح الى أدائها داخل الحقل المعرفي العام الذي ينتمي اليه. والكشف عن المضمون الايديولوجي للنص التراثي هو، كما يرى الجابري، الوسيلة الوحيدة لجعله معاصراً لنفسه، لإعادة التاريخية اليه.

أن التعامل مع التراث كما يرى الجابري "يجب أن يقوم على الفصل والوصل أما التعامل مع الفكر العالمي المعاصر فيجب أن يقوم على الاتصال ثم الانفصال أو الوصل والفصل. فعلينا أن نتشرب الفكر العالمي المعاصر بكل معطياته، المفهومية والمنهجية، وهو معنى الاتصال، ثم ننفصل عنه لكي نعطي لهذه المناهج ميداناً تطبيقياً آخر، وبالتالي مضموناً آخر من خلال تراثنا. فالانفصال عن التراث عملية تصاحبها بالضرورة عملية الاتصال مع الفكر العالمي المعاصر، والانفصال عن هذا الفكر عملية يجب أن تصاحبها بالضرورة عملية اتصال جديد مع التراث.. وهكذا نحقق في آنٍ واحد ما نسميه في الأصالة" (١). فما يقترحة الجابري هو قراءة جديدة للتراث تجعله معاصراً لنفسه ومعاصراً لنا في الوقت نفسه: معاصراً لنفسه بمعنى وضعه في اطاره التاريخي الاجتماعي الاقتصادي المعرفي الايديولوجي. ومعاصراً لنا بمعنى النظر اليه نظرة تاريخية تعتمد على اظفاء المعقولية على الشيء المقروء وبالتالي البحث فيه عما يمكن أن يساهم في اعادة بناء الذات العربية....

**تعامله مع النصوص:-**

رغم اني سبق واشرت الى كيفية تعامل الجابري مع النصوص من خلال حديثي عن الخطوات التي يقترحها ويحاول تطبيقها في دراسته للتراث، الاّ أنني اتحدث عنها في هذا

---

١) نبيل فرح، حولر مع الجابري "النهضة العربية في مملكة العقل"، ***آفاق عربي***، ع٤، السنة١٠ (كانون أول، ١٩٨٤)ص١٤١

السياق بشيئ من التفصيل، ذلك اننا سنتعامل في هذه الدراسة مع نصوص هي من كتابة الجابري فلا بد لنا من التعرف على كيفية تعامله مع النصوص علّنا نفهم ما يرمي اليه من النصوص التي سنحاول التعرض لها لاحقاً في هذه الدراسة. ولعل القارئ لكتابات الجابري يلاحظ انه يوظف النصوص الى أبعد مدى... ويرى الجابري "...أن القارئ يساهم في انتاج مضمون النص وهناك من القراء من قد لا يتسع وقتهم لقراءة ما بين السطور فيقرأون المضمون في حدود الشكل الذي صُبَّ فيه لا يتجاوزون منطوق العبارة، ولا يستنطقونها. وهناك بالعكس من ذلك من يخرق شبكة التعبير اختراقاً ليكّون لنفسه فهماً يعتبره: البنية العميقة للنص"(١). وانطلاقاً من هذا القول نرى الجابري يقول رداً على د.حسن حنفي:"انني غير راض عن قراءتك "السطحية" للنص الذي كتبته انا تعقيباً على ما كتبته انت، واقصد بِ "السطحية" وقوفك عند البنية السطحية للنص"(٢).

وفي كتابه "الخطاب العربي المعاصر" يتناول الجابري كناقد جملة نصوص يعتبرها عينات صالحة لتمثيل ما يسميه "الخطاب العربي المعاصر" ويترك المنتقَدين من حيث هم أشخاص... خارج النقد، كما يترك منظوماتهم الفكرية– اذا وجدت– خارج المعاينة، ويكتفي بمحاكمة نقدية لمفاهيمهم الاساسية (في نظره) فنراه يقول:"ان ما يهمنا من النماذج التي سنعرضها هو العقل الذي يتحدث فيها، لا بوصفه عقل شخص او فئة أو جيل بل بوصفه "العقل العربي" الذي انتج الخطاب موضوع دراستنا"(٣). كما يقول الجابري أن ما يهمه من النصوص هو "الارتكاز عليها في الوصول الى الكشف عن قاعدتها الابيستيمولوجية ومضمونها الايديولوجي، فالنصوص بالنسبة الينا وسيلة وليست غاية، واستعمالنا لها سيكون استعمالاً وظيفياً لا استعمالاً معرفياً"(٤). ومن فوائد المنهجية الحديثة في قراءة النصوص انها "تعلمنا الانتباه ليس فقط الى ما ينطق به النص والكيفية التي بها

---

١)محمد عابد الجابري، حسن حنفي، ***حوار المشرق والمغرب***، مصدر سابق، ص٨٧

٢) المصدر نفسه، ص٨٩

٣) محمد عابد الجابري، ***الخطاب العربي المعاصر: دراسة تحليلية نقدية***، مصدر سابق،ص١٧

٤) محمد عابد الجابري، ***نحن والتراث: قراءة معاصرة في تراثنا الفلسفي***، مصدر سابق،٨٩

ينطق، بل توجه اهتمامنا ايضاً الى النظر في "ما سكت" عنه النص والكيفية التي بها سكت"[1].

**العوامل المؤثرة في فكره ومنهجه:-**

سأحاول تحت هذا العنوان الوقوف على بعض العوامل المؤثرة في فكر ومنهج الجابري وذلك من خلال ما ظهر لنا من أقواله في مؤلفاته، وقد سبق أن ذكرت أن الجابري حصل على دكتوراه الدولة في الفلسفة في رسالة موضوعها: العصبية والدولة: معالم نظرية خلدونية في التاريخ الاسلامي. ولعل القارئ لهذا العمل يلمس مدى اعجاب الجابري بابن خلدون، فهو يرى بأنه كان رجلاً "واقعياً في تفكيره وفي نظره الى الامور، بل حتى في سلوكه وطموحة السياسي"[2]. وقد تأثر الجابري به في كثير من الامور، ولعل قوله عن صاحب المقدمة أنه "لم يكن يعمد الاستقراء ليستخلص منه النتائج، بل كان يضع النتائج أولا ثم يلجأ بعد ذلك الى استقراء الحوادث لتأييد صحتها"[3] – لعل هذا القول ينطبق على الجابري نفسه في جوانب كثيرة حيث أنه في مؤلفاته يكون قد وضع النتائج في البداية ثم يمضي في اثبات صحة قوله في المؤلَف نفسه وفي مؤلفات أخرى (فمثلاً، كتاب تكوين العقل العربي يتمم ويؤطر ويبرهن على صلاحية اجتهادات ودعاوى نحن والتراث و الخطاب العربي المعاصر).

أما دعوة الجابري إلى إعادة كتابة التراث والتاريخ فإننا نجد تأكيداً لها عند صاحب المقدمة، فكما يقول الجابري "إن اعادة كتابة التاريخ أصبحت ضرورة تفرض نفسها في عصر ابن خلدون. ولكن ليس بامكان كل الناس ادراك هذه الضرورة، والشعور بثقلها، بل لا بد من تجربة واسعة خصبة تمكن صاحبها من سَبر غور الامس واليوم، ولا بد من هزةٍ نفسية تدفع المتعرض لها لأن يرى ما لا يراه الناس، ويدرك من خلال الاحداث

---

١) محمد عابد الجابري، ***تكوين العقل العربي***، مصدر سابق، ص٦٥

٢) محمد عابد الجابري، ***العصبية والدولة: معالم نظرية خلدونية في التاريخ الاسلامي***(الدار البيضاء: دار الثقافة، ١٩٧١) ص١٢٤

٣) المصدر نفسه، ص١٦١

معنى، بل معاني لا يفطن اليها كل الناس. وقد قدر لابـن خلـدون أن يخـوض بعمـق مثـل هذه التجربة، ويتعرض بعنف لتلك الهزة "[1].

وبناءاً على ما سبق فإن الجابري يحاول قراءة التاريخ بعقل إبـن خلـدون حيـث أنـه يقول "الاقتصاد الريعي، السلوك العصبي العشائري، التطرف الديني، ثلاثة "مفاتيح" وظفها إبن خلدون في قراءته للتجربة الحضارية العربية الاسلامية الى عهده، فلنعمـل بدورنـا علـى توظيفها توظيفاً جديداً يستجيب لمشاغلنا الفكرية المعاصرة ويستفيد مـن جميـع الدراسـات والابحاث الغربية"[2] فعبر هذا السياق وعبر تمسك الجـابري بـالفكر الخلدونـي نجـده يعلـن "القبيلة، الغنيمة، العقيدة، ثلاثة "مفاتيح" نقرأ بواسطتها التاريخ السياسي العربي فهـي اذن محددات "العقل" الباطن لهذا التاريخ"[3].

أما عن الواقع الحالي فيقول الجـابري " هـل نتحـدث عـن الواقـع الحضـاري الـذي تعرضه علينا مقدمة ابن خلدون ام عن واقعنا نحن ابناء الوطن العربـي في القـرن العشـرين؟ وبعبارة اخرى الا نقرأ واقعنا الراهن في الواقع الذي تحدث عنه ابن خلـدون؟[4] و لم يقـف الجابري عند هذا بل انه يعتبر ان "اشكالية ابن خلدون ما زالت معاصرة لنا، اي قابلـة لان تندمج في اشكاليتنا الراهنة وقابلة لان تتفاعل معها وتساهم في توضيحها وتوفير الشـروط الضرورية لتجاوزها"[5]. ويقول ايضاً "اننا عندما نقرأ المقدمة نشعر باننـا نقـرأ فعـلاً مـا لم نكتبه بعد، ونسمع فعلا ما لم نقله بعد. اننا نكتشـف فيهـا مـا هـو بمثابـة الهـوَّ الحضـاري بالنسبة الى وجودنا الحاضر"[6]. وبعبارة اخرى يعبر عن هذا الامر فيقول "ان ما يستهوينا ويبهرنا في الخلدونية (ما كان صالحا في فكر ابن خلدون لان يحيا حياة جديدة ومتجـددة)* هو انها تتحدث الينا عما لم نستطع نحن الكلام فيه بعد"[7] فمقدمة ابن خلدون كما يـرى

---

١) المصدر نفسه، ص١٣٥

٢) محمد عابد الجابري، ***العقل السياسي العربي***، مصدر سابق، ص٤٧

٣) محمد عابد الجابري، ***العقل السياسي العربي***، مصدر سابق، ص٥٢

٤) محمد عابد الجابري، ***نحن والتراث: قراءات معاصرة في تراثنا الفلسفي***، مصدر سابق، ص٣٢٦

٥) المصدر نفسه، ص٣١٠

٦) المصدر نفسه، ص٣٢١

٧) المصدر نفسه، ص٣٢٩

* المصدر نفسه، ص٣١٠

الجابري اقرب منا الى انفسنا...وابن خلدون يحدثنا عما لم نعد بعد قادرين على الكلام فيه ويفضح امامنا واقعاً لم نستطيع تغييره بعد. ويؤكد الجابري على حديثه فيقول: "لقد تساءل ابن خلدون "كيف دخل اهل الدولة من ابوابها" –وذلك في الحقيقة هو محور اشكاليته– فكان جوابه واضحاً وصريحاً، ومستمداً من تحليل الواقع المشخص الذي عاشه هو، ونتساءل نحن اليوم –ولكن لا جهراً كابن خلدون، بل خفية او بالتواء – نتساءل "علام يقوم الحكم اليوم في البلاد العربية" فنخاف من الجواب الحقيقي والصريح الذي يقدمه الواقع الحي او نسكت عن السؤال او نصنع له جواباً من خارج مجالنا الواقعي وحياتنا اليومية، نفعل ذلك ونحن نشعر في قرارة انفسنا اننا نهرب مما تجب مواجهته والانطلاق منه...[1]

ومن جهة أخرى، ان جاز لنا القول، فإن الجابري متأثر كثيرا بالفكر العلمي الحديث، ولا يخفى علينا خبرته بالمنهج العلمي الحديث في البحث والتفكير حيث وضع فيه كتاباً من جزئين تحت عنوان فلسفة العلوم، فها هو يقول: "هناك طريق واحد يقودنا نحو "العلم العربي"، العلم العربي في الماضي، والعلم العربي في المستقبل، انه الانكباب على دراسة الفكر العلمي الحديث وتطوره، والاجتهاد في هضمه وتمثله...ان الماضي كالمستقبل لا يكتشف ولا يبنى او يعاد بناؤه الا على اساس الحاضر والانطلاق منه، وحاضرنا العلمي هو العلم الحديث. فلنجعل من دراسة هذا العلم موضوعاً ومنهجاً، روحاً ومناخاً، وسيلة لبناء حاضرنا وبعث ماضينا والانطلاق نحو مستقبلنا...لنتسلح، اذن، بهذه الرؤية الجدلية التي تجعل الحاضر منطلقاً لبعث الماضي وبناء المستقبل. اننا ان فعلنا ذلك تجنبنا في آن واحد مخاطر "الاغتراب" واغلال "الاعتراب""[2] ويقول ايضا: "اننا نعتقد ان الانكباب على دراسة جاليلو وديكارت وهويغنز ونيوتن وآينشتاين وامثالهم دراسة تاريخية واعية ستسلحنا بالادوات الفكرية التي تمكننا من اكتشاف علمي، لا خطابي، موضوعي، لا ذاتي، لمختلف الوجوه المشرقة في تراثنا وياما اكثرها".[3]

---

١) محمد عابد الجابري، *نحن والتراث*، مصدر سابق، ص٣٢٦

٢) محمد عابد الجابري، *مدخل الى فلسفة العلوم:المنهاج التجريبي وتطور الفكر العلمي*(بيروت: دار الطليعة، ١٩٨٢) ص١٢

٣) المصدر نفسه، ص١٢

مما سبق نلاحظ ان الجابري يحاول القول انه يتعامل مع افكار ومفاهيم العلماء والمفكرين بحرية تامة بما يتلاءم ويتوافق مع غايته ويخدم موضوعة، وهو يؤكد ذلك في قوله: "سيلاحظ القارئ اننا نوظف مفاهيم تنتمي الى فلسفات او منهجيات او "قراءات" مختلفة متباينة، مفاهيم يمكن الرجوع ببعضها الى كانت اوفرويد او باشلار او التوسير او فوكو، بالاضافة الى عدد من المقولات الماركسية التي اصبح الفكر المعاصر لا يتنفس بدونها..اننا لا نتقيد في توظيفنا لتلك المفاهيم بنفس الحدود والقيود التي تؤطرها في اطارها المرجعي الاصلي بل كثيراً ما نتعامل معها بحرية واسعة. اننا واعون لهذا تمام الوعي، ونمارس هذه الحرية بكل مسؤولية ذلك اننا لا نعتبر هذه المفاهيم قوالب نهائية، بل فقط ادوات للعمل يجب استعمالها في كل موضوع بالكيفية التي تجعلها منتجة والاّ وجب التخلي عنها.."[1]. وفي الاطار ذاته يقول السيد ياسين تعليقاً على كتاب تكوين العقل العربي "ان الدكتور الجابري يطبق في الواقع منهجية دراسة الخطاب السياسي وهو متأثر تأثرا واضحا بِ "فوكو" على وجه الخصوص، وبكتابات "كانجيم" في فلسفة العلوم وتاريخ العلوم، وانجازات "بارت" في دراسة الخطاب النقدي الادبي، وانجازات "كرستيفا" في علم العلامات. وبالتالي هذا الكتاب تطبيق خلاّق من وجهة نظري لنسق من الافكار في كتابات هؤلاء الكتّاب الاوروبيين"[2]. اما الجابري فيقول تأكيدا لكلامه انه عندما يستعير مفهوم "اللاشعور السياسي" من "دوبري" لا يأخذه بكل حمولته ولا بنفس مضمونه بل يتصرف فيه بالقدر الذي يفرضه موضوعه والذي يختلف اختلافا غير قليل عن موضوع "دوبري"..."[3]

علاوة على ما سبق ذكرة، فإن الجابري قد عرض لفكر آرسطو في كتابه "بنية العقل العربي" (ص٣٨٤) دون ان يتحفظ على شئ مما جاء فيه..واعتبر الفارابي المعلم الثاني وانه الذي اعاد تأسيس العقلانية في الاسلام نظراً لكونه اول من درس المنطق الصوري كاملاً.. ولا يخفى على من يقرأ كتاب الجابري "بنية العقل العربي" مدى اعجابه

---

١) محمد عابد الجابري، ***الخطاب العربي المعاصر***، مصدر سابق، ص١٤

٢) ندوة المستقبل العربي: "مناقشة كتاب تكوين العقل العربي"، ***المستقبل العربي***، ع٧٠ (-، ١٩٨٤) ص١٣٥

٣) محمد عابد الجابري، ***العقل السياسي العربي: محدداته وتجلياته*** (بيروت: مركز دراسات الوحده العربية، ١٩٩٠) ص ١٣

بابن حزم والشاطبي وابن رشد فهو يقول: "ان ما ننشده اليوم من تحديث للعقل العربي وتجديد للفكر الاسلامي يتوقف ليس فقط على مدى استيعابنا للمكتسبات العلمية والمنهجية المعاصرة..بل ايضا ولربما بالدرجة الاولى يتوقف على مدى قدرتنا على استعادة نقدية ابن حزم وعقلانية ابن رشد واصولية الشاطبي وتاريخية ابن خلدون.."[1] ويقول ايضا "انه باستعادة العقلانية النقدية التي دشنت خطابا جديدا في الاندلس والمغرب مع ابن حزم وابن رشد والشاطبي وابن خلدون، وبها وحدها، يمكن اعادة بنية العقل العربي من داخل الثقافة التي ينتمي اليها، مما يسمح بتوفير الشروط الضرورية لتدشين عصر تدوين جديد في هذه الثقافة"[2] .

وفي نهاية هذا الحديث يمكن القول ان اهم العوامل المؤثرة في فكره ومنهجه هي:

١) بيئته الخاصة من حيث كونه مغربي حيث ان هذا بلا شك كان له اثر كبير في فكره وخاصة نظرته الى مسألة العروبة / الاسلام (انظر الفصل الثالث) وكذلك مسألة الاقليات، وهنا اذّكر بأن الجابري عاش في منطقة بربر، وان كانوا ليسوا بأقلية كما يرى الجابري (انظر الفصل الرابع). كما ان بيئته الخاصة اثرت على منهجه فكان نتيجة لذلك، حسب رايي:

أ) تأثره بالمفكرين والفلاسفة المسلمين في المغرب العربي الكبير وخاصة ابن خلدون. هذا عدا عن تأثره بابن حزم وابن رشد والشاطبي..

ب) تأثره بالفكر العلمي الحديث، ولعل قرب المغرب من اوروبا ساعد على ذلك، فقد تأثر بكثير من المفكرين سبق ذكر بعضهم (فوكو، كانجيم، بارت، كرستيفا..)

٢) وكان لبيئته العامة كذلك اثر كبير على فكره ومنهجه (اوضاع الوطن العربي..معاصرته للمد الناصري..) ويظهر لنا ذلك بوضوح من خلال المسائل التي يطرحها: اعادة قراءة التراث العربي الاسلامي، الوحدة العربية، الديمقراطية، العلاقة بين العروبة والاسلام...فالمواضيع التي يعالجها تتعلق مباشرة ببيئته العامة وطبيعة عصره وهذا سيتضح لنا في الفصول القادمة من البحث.

---

١) محمد عابد الجابري، ***بنية العقل العربي***، مصدر سابق، ص٥٥٢

٢) المصدر نفسه، ص٥٥٢

**مؤلفاته :-**

للجابري العديد من الكتب المنشورة والتي طبعت اكثر من مرة، اذكر منها: العصبية والدولة: معالم نظرية خلدونية في التاريخ الاسلامي. دروس الفلسفة لطلاب الباكالورية المغربية. مدخل الى فلسفة العلوم (جزءآن): تطور الفكر الرياضي والعقلانية المعاصرة، المنهاج التجريبي وتطور الفكر العلمي. السياسة التعليمية في اقطار المغرب العربي: المغرب، الجزائر ، تونس. أضواء على مشكل التعليم بالمغرب. من أجل رؤية تقدمية لبعض مشكلاتنا الفكرية والتربوية. نحن والتراث: قراءة معاصرة في تراثنا الفلسفي. الخطاب العربي المعاصر: دراسة تحليلية نقدية. سلسلة نقد العقد العربي: ١) تكوين العقل العربي،٢) بنية العقل العربي: دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية،٣) العقل السياسي العربي: محدداته وتجلياته. المغرب المعاصر: الخصوصية والهوية، الحداثة والتنمية. اشكاليات الفكر العربي المعاصر. وجهة نظر نحو اعادة بناء قضايا الفكر العربي المعاصر. التراث والحداثة: دراسات ومناقشات.

وللجابري أيضا العديد من المقالات والاعمال المنشورة في مجلات مختلفة، هذا عدا عن الابحاث التي يساهم بها في كثير من الندوات التي تنظمها المراكز العلمية المختلفة....

# الوحدة العربية في فكر الجابري

أخذت الوحدة العربية حيزاً كبيراً في فكر الجابري، وفي هذا الفصل سنتعرض الى: مسألة الهوية والوعي العروبي، وعلاقة الوحدة العربيه بالوحدة الثقافية، وكذلك سنحاول التعرف على رأي الجابري في العلاقة بين الوحدة والدولة القطرية، اضافة الى رأية في العلاقة بين الوحدة والتقدم. ومن خلال هذه الموضوعات سنرى مدى واقعية أفكار الجابري وامكانية تطبيقها فيما يتعلق بالوحدة العربية.

مسألة الهوية والوعي العروبي:-

لقد أصبح الوجود العربي محاصراً بكل التهديدات على مستوى الغزو الثقافي الذي يستهدف مسخ الاساس الثقافي للكائن العربي، أو على صعيد الاحتلال المباشر أو غير المباشر لمقدرات الشعب العربي. كل هذا يتم في استنقاع إقليمي ووضعية سياسية تشجع التجزئة والتشرذم أكثر مما تستنهض عوامل التعاضد والوحدة. ومن هذا المنطلق تقريباً يعتبر الجابري أنه "من الطبيعي جداً ان تطرح مسألة الهوية سواء على مستوى الافراد، أو على مستوى الشعوب والامم كلما كان هناك تحدٍ أو تهديد خارجي أو شعور بالاحباط والانقطاع. إن هذا اسلوب من أساليب تأكيد الذات واعادة ترتيب علاقاتها بمحيطها من أجل تحقيق الطمأنينة. والامة العربية تجتاز في الفترة الراهنة ظروفاً صعبة وتواجه تحديات تتهددها ليس فقط في هويتها كأُمة تتطلع الى تحقيق وحدتها وتقدمها بل تواجه تحديات وأخطار تتهددها في كيانها كوجود ذلك حتى على المستوى القطري"(١).

ويعرف الجابري الهوية بأنها "ما به يكون الشئ هو نفسه..مطابقة الشئ لنفسه أو مطابقته لمثيله..ما به يكون الشئ هو هو بوصفه وجوداً منفرداً متميزاً عن غيره..."(٢) ويرى الجابري أن سؤال الهوية لا يجب أن ينحصر في الحاضر بمقدار ما يتعلق بالمستقبل القريب او البعيد بالرغم من ضغط هذا السؤال على الوعي العربي المعاصر. ذلك "أن

---

١) مقابلة مع الجابري، *الوحدة*، ع٤٣، (نيسان، ١٩٨٨) ص١٨٥

٢) د.معن زيادة، *الموسوعة الفلسفية العربية*، المجلد الاول (-،معهد الانماء العربي، ١٩٨٦) ص٨٢١

مسألة الهوية عندما تطرح نفسها على أمة عريقة، كالأمة العربية، التي اجتازت خلال تاريخها المديد تجارب قاسية، يجب أن ينظر اليها على أنها تعبير عن الحاجة لا الى تحديد الهوية، بل الى اعادة ترتيب عناصرها. فالهوية العربية هوية مكتملة وثابتة ولكن التجارب والتحديات تجعل من الضروري بين حينٍ وآخر اعادة ترتيب عناصر هذه الهوية بالشكل الذي يُمكّن من اجتياز الازمة التي يطرحها سؤال الهوية في مثل هذه الظروف فهي في الغالب أزمة نفسية، أزمة على صعيد الوعي"(١).

مسألة الهوية في نظر الجابري، اذن، ترجع الى مشكلة الوعي بها. والازمة التي تخلخل مكوناتها راجعة بالاساس الى أزمة في التوازن داخل الوعي العربي بذاته. غير أنه يجب الاحتراس هنا فمعالجة موضوع الهوية يتوقف على الطريقة التي نتعامل بها معها "فإذا نحن نظرنا الى الهوية من حيث الثبات...فإننا سنجد أنفسنا في نقطة ميتة، ولذلك كان من الضروري النظر الى الهوية من زاوية تسمح بممارسة الفعالية العقلية وهي الزاوية التاريخية...علينا اذن ان ننظر الى مسألة الهوية المطروحة علينا حالياً من منظور تاريخي، منظور موضوعه لا الهوية في صفتها الذاتية، بل الهوية من حيث أنها وعي بالذات متطور متجدد...كيف تطور وعينا بذاتنا؟ كيف أقمنا تاريخنا؟ علاقة جدلية بين ذواتنا وبين المعطيات الخارجية، وبعبارة أخرى يجب أن ننظر الى الهوية في سياق التجربة التاريخية للأمة..."(٢)

وانطلاقا من القول السابق يرى الجابري أن الحضارة العربية الاسلامية لم تشهد "التغاير أو التمايز أو الانشطار داخل الهوية العربية الاسلامية الا عندما تأثرت تركيا في القرن الماضي بالحركات القومية في اوروبا، فقام فيها تيار ينادي بتسويد القومية التركية الطورانية على مختلف القوميات المنضوية تحت الخلافة العثمانية، فكان رد فعل العرب، كما هو معروف، هو المطالبة بالاستقلال عن الترك، الشئ الذي يعني الخروج من الخلافة العثمانية التي كانت تمثل الاسلام السياسي الموروث. من هنا ظهرت فكرة العروبة والقومية العربية لا كطرف ينازع الاسلام أو ينافسه بل كتعبير سياسي عن الرغبة في

---

١) مقابلة مع الجابري، *الوحدة*، ع٤٣ (نيسان ١٩٨٨)ص ١٨٥

٢) المصدر نفسه، ص١٨٥

التحرر من قومية كانت تطمح الى الاستئثار بالسلطة أكثر"[1]. ومن هنا فإننا، من جهة أخرى، نرى الجابري يميز بين مصطلح "الوعي العروبي" و "الوعي القومي" ذلك أن الاول أكثر عمومية من الثاني ويقصد به الوعي بالإنتماء الى الأمة العربية والذي عناصره: اللغة والتاريخ والاهداف والمصير المشترك، أما مصطلح "الوعي القومي" فقد ارتبط ظهوره بالدرجة الاولى بالمشرق العربي وهو مصطلح مثقل بمضمون وحدوي أيديولوجي، واداة نظرية من أدوات الخطاب النهضوي العربي المعاصر، كما أنه يدخل في تناقض وتقابل أو تغاير مع الوعي الوطني القطري، على اعتبار ان الوعي القطري نقيض الوعي القومي الوحدوي[2]. ويزداد الامر وضوحاً في رأي الجابري اذا ما علمنا أن سكان الوطن العربي من المحيط الى الخليج كانت تتحد هويتهم إما بالاقليم الذي يسكنون وإما بالدين الذي يعتنقوه..الاسلام..،الانتماء الى امة الاسلام، فهو المقوم المشترك الاساسي والرئيسي لهوية سكان الوطن العربي وكما يقول الجابري أننا "عندما نتحدث عن العروبة أو الوعي العروبي، وبالاحرى الوعي القومي، فإننا نتحدث عن ظاهرة جديدة ترتبط كما قلنا باليقظة العربية الحديثة وتشكل أحد مظاهرها وتجلياتها"[3].

ولم يقف الجابري عند ما ذكرنا بل إننا نجده يميز بين يقظة الوعي العروبي في المشرق العربي عنه في المغرب العربي (يميز بين فكرة الوحدة كما طرحت في المشرق والفكرة نفسها كما طرحت في المغرب،). وهو ينبهنا في أنه يميز بين المشرق والمغرب ليس من قبيل التعصب للمغرب اذ يقول رداً على من يتهمه بالتعصب للمغرب في طرحة وأفكاره: "أما ما قيل عن تعصبي للمغرب على المشرق فليعلم الجميع أنني أؤمن أن المغرب مشرق وأن المشرق مغرب ولن يفترقا. نحن إخوه، أبناء أبٍ واحد، ولكن ربما من أمهات عديدة مختلفة. لسنا توائم. نحن إخوة"[4]. انطلاقاً من هذا يمكن لنا أن نوضح كيف ينظر الجابري الى يقظة الوعي العروبي في المشرق والمغرب، فهو يقول "اذا كانت يقظة الوعي

---

١) مقابلة مع الجابري، ***الوحدة***، ع٤٣ (نيسان، ١٩٨٨)ص١٨٥-١٨٦

٢) محمد عابد الجابري، "يقظة الوعي العروبي في المغرب:مساهمة في نقد السوسيولوجيا الاستعمارية"، ***المستقبل العربي***، ع٨٧ (أيار، ١٩٨٦)ص٤-٥

٣) المصدر نفسه، ص٧

٤) محمد عابد الجابري، حسن حنفي، ***حوار المشرق والمغرب***،مصدر سابق، ص٢٠٢

العروبي في المشرق العربي قد ارتبطت بجملة عوامل أهمها تحدي "الآخر" التركي وتهديده للعنصر العربي ومقومات وجودة من خلال سياسة التزيك خاصة، فإن..الآخر الذي كانت يقظة "الوعي العروبي" في المغرب جواباً على تحديه وتهديده لم يكن تركيا "الاسلامية" بل فرنسا "النصرانية"..."[1]. ومن هنا يمكن ملاحظة أن "الاخر" بالنسبة الى المشرق كان ينتمي الى الاسلام ويحكم باسمه، أما الاخر بالنسبة الى المغرب فلا ينتمي الى الاسلام، بل يظهر بمظهر الخصم التاريخي للاسلام ومظهر الفاتح اللاتيني الصليبي..

وهنا نقف عند الوعي القومي في المغرب العربي حيث أن الجابري يرى أن ثلاث عناصر رئيسية أسست وتؤسس فكرة المغرب العربي في وعي أبناء شمال أفريقيا، وهو مؤشر على يقضة الوعي القومي، وهذه العناصر هي : فكرة الامة، رد الفعل الوطني ضد الاستعمار، المطامح والتطلعات تجاه الوحدة...[2]. كما ويؤكد الجابري أن وحدة المغرب العربي كانت تعني في أذهان النخبة السياسية اثناء فترة الاستعمار: وحدة العمل وليس وحدة الهوية. وأن: الارتباط بالاسلامي والعروبي، اقرار وحدة الهدف، الحرص على تنسيق الاعمال، هو مضمون فكرة المغرب العربي التي أفرزها الكفاح المشترك ضد الاحتلال الفرنسي...[3]. ولعل هذا الحديث سيكون أكثر وضوحاً وتفصيلاً في هذا الفصل بشكلٍ عام، وعند الحديث عن الوحدة والدولة القطرية بشكلٍ خاص.

ومن الجدير بالاشارة اليه أن الجابري يعتبر أن الشعور بالاحباط أصبح منذ هزيمة العرب عام ١٩٦٧ الظاهرة المهيمنة على الوعي النهضوي العربي ويرى "أن الدرس الذي يجب استخلاصة من تجربة الخمسينات والستينات قد أكدت أن العروبة بدون الاسلام نفيٌ للعروبة نفسها، كما أكدت تجربة السبعينات والثمانينات..أن الرابطة الاسلامية لا تكفي وحدها في تحديد هوية أي قوم من الاقوام المسلمة.. والثورة الايرانية التي قامت حاملة شعار الاسلام الثوري مستقطبة أوسع الجماهير العربية حتى بعض الفئات غير المسلمة منها، هذه الثورة قد آلت على نحوٍ بحيث لا أحد يستطيع أن ينكر أو يتجاهل

---

١) محمد عابد الجابري، "يقظة الوعي العروبي في المغرب:مساهمة في نقد السوسيولوجيا الاستعمارية"، ***المستقبل العربي***، ع٨٧ (أيار، ١٩٨٦) ص٧

٢) محمد عابد الجابري، وآخرون، ***وحدة المغرب العربي***(بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٧ )ص١٧

٣) المصدر نفسه، ص٢١

البعد القومي الفارسي في ممارسات ايران...وهذا من حقهم فليس لنا أن نطالب أي قوم بأن يتخلوا عن قوميتهم كما أنه ليس لاحد الحق في أن يطالبنا بالتخلي عن قوميتنا. إن العالم الاسلامي هو عالم من الدول والقوميات، والاسلام السياسي، الذي يراد به تغليب ما عبر عنه في أوائل هذا القرن "بالجامعة الاسلامية" على "الجامعة العربية"، سيبقى مجرد شعار قد يرفعه أناس هنا أو هناك في خضم الصراع السياسي داخل القطر الواحد، أمّا أن يتوحد المسلمون في أمة واحدة ودولة واحدة فهذا ليس مستحيلاً ولكن نقطة البدء فيه هي بالضرورة الوحدة العربية الشاملة "[1].

**الوحدة الثقافية العربية:-**

لعلنا لاحظنا خلال الفصل السابق من هذا البحث كيف أن الجابري يرى أنه ما من قضية من قضايا الفكر العربي المعاصر الا وكان الماضي حاضراً فيها كطرف منافس، ولا يمكن للعرب ان يحلوا مشاكل المستقبل الا اذا حلوا المشاكل التي أورثهم اياهم الماضي . ومن هنا كانت دعوته الى اعادة كتابة التاريخ الثقافي العربي وذلك بعد أن حلل الثقافة العربية الاسلامية تحليلاً معرفيا متخذا من عصر التدوين البداية الفعلية للثقافة القومية العربية، الثقافة العربية الاسلامية. ولكن ما يهمنا هو كيف ينظر الجابري الى العلاقة ما بين الوحدة من جهة والثقافة العربية من جهة أخرى.

يرى الجابري أن الثقافة العربية هي في آن واحد"لغة ودين وماضٍ مشترك ومستقبل مأمول، ومن هنا كانت وظيفتها التاريخية،وظيفتها التوحيدية، هي نفس هويتها، لا بل نفسه ماهيتها"[2]. فوظيفة الثقافة اذن هي الارتفاع بالوطن العربي من رقعة جغرافيه الى وعاء للؤمة العربية لا تكون الا به ولا يكون الا بها. فالعرب "اذا كانوا يعانون فعلا من التجزئة على مستوى الحكم والسياسة فهم موحدون على مستوى الثقافة. نحن الان لا يمكن ان نتحدث عن ثقافة مغربية او جزائرية، أو مصرية، أو سورية، أو يمنية، أو سودانية،

---

١) مقابلة مع الجابري، ***الوحدة***، ع٤٣ (نيسان، ١٩٨٨)ص١٨٦

٢) محمد عابد الجابري، ***وجهة نظر نحو اعادة بناء قضايا الفكر العربي المعاصر***، مصدر سابق، ص١٧١

أو عراقية، خارج الثقافة العربية..." [1]. ومن هنا يجب التأكيد على ان الجابري عندما يتحدث عن الثقافة العربية ودورها ووظيفتها تجاه الوحده فانه يقصد اعادة تاسيس الوعي بالوحده والدفع بالنزوع الوحدوي في الوطن العربي خطوات حاسمة الى الامام وعلى كافة المستويات، ويقول الجابري في هذا الاطار "فنحن نتحرك هنا على مستوى تقوية النزوع الوحدوي وليس على مستوى التحقيق الفعلي للوحدة"[2]..فالوحدة العربية في الوطن العربي قائمة فعلاً، وأن بصورة ما، على مستوى الثقافة، مستوى اللغة والتراث والفكر والادب..الخ. ويرى الجابري أن "هذه الوحدة الثقافية القائمة في الوطن العربي – وليس المصلحة الاقتصادية – هي العنصر الموحد بين العرب في الوقت الراهن على الاقل، العنصر الذي يحرك الطموح الى وضع تكون الوحدة الاقتصادية من مقوماته الاساسية"[3].

اذا كانت الوحدة الثقافية قائمة بصورة أو بأخرى، فهل يعني هذا أن تحقيق الوحدة القومية على الصعيد السياسي ستكون شيئًا زائداً، أو من قبيل الكماليات بالنسبة للثقافة العربية الموحدة؟. إن الجابري يعطينا اجابة شافية على هذا السؤال بقوله "إن الوحدة القومية عندما تتحقق بصورة من الصور على المستويات السياسية والاقتصادية ستعزز دون شك الوحدة الثقافية"[4]. فالوحدة العربية على المستوى الثقافي قائمة بصورة طبيعية من خلال اللغة المشتركة والتراث المشترك والهموم المشتركة، وهناك مجال واسع لتعميق الوحدة على هذا المستوى، وهو ما سنأتي الى الحديث عنه بعد أن نعرض الى علاقة الثقافة العربية بالدولة القطرية (والتي ستضح أكثر عند الحديث عن العلاقة بين الوحدة والدولة القطرية) حيث يرى الجابري أن "الثقافة العربية، ثقافة الدولة القطرية ذاتها، ثقافة لا قطرية أساساً، تتعارض من القطرية ولا تعترف بها ولا تخضع لمنطقها...فالوحدة الثقافية العربية.. تحدت في الماضي وتتحدى في الحاضر الحدود والحواجز التي تقيمها الدولة القطرية، وستظل

---

١) فرحان صالح، حوار مع الجابري، "حول الثقافة العربية"، ***المستقبل العربي***، ع٩٢ (تشرين اول، ١٩٨٦)، ص١٥٣.

٢) محمد عابد الجابري، ***وجهة نظر نحو اعادة بناء قضايا الفكر العربي المعاصر***، مصدر سابق، ص١٧٢

٣) تحرير، فهد الفانك، ***الدولة القطرية وامكانيات قيام دولة الوحدة العربية*** (عمان: منتدأ الفكر العربي، ١٩٨٩) ص٦٧

٤) فرحان صالح، حوار مع الجابري، "حول الثقافة العربية"، ***المستقبل العربي***، مصدر سابق، ص١٥١

تتحداها، غداً وبعد غد، لأن مقوماتها من العناصر التي لا تفسد ولا تتلاشى: اللغة والدين والتراث والتاريخ والمصير الواحد..."[1]

وماذا عن التعدد داخل اطار الثقافة الواحدة، هل يتجاهل الجابري مثل هذا التعدد ولا يأخذه في عين الاعتبار،..لا، انه يرى أنه الى جانب الثقافة القومية العربية هناك ثقافات محلية، ولكن كيف يكون هذا؟ يجيبنا الجابري على ذلك من خلال قوله أن "الثقافة القومية العربية السائدة الان هي اساساً الثقافة العالمة، اعني ثقافة العلم والفلسفه والايديولوجيا. أما الثقافات الأقوامية المحلية فهي في الوطن العربي عموماً ثقافات – عامية – أساساً، منها ما هو شفوي فقط ولا يكتب، ومنها ما يكتب ولكن كتابة تتحرك في حدود ضيقة"[2]. فهناك ،اذن، وحدة في الثقافة العربية على صعيد الثقافة العالمة، وهناك تنوع على صعيد الثقافة العامية، ليس هذا فحسب بل ان الجابري يرى أن هناك لغة عربية واحدة عالمة تجمع العرب جميعاً وهي ما نسميها بالعربية الفصحى. وهنال لهجات محلية ذات أصول عربية أو غير عربية تتحدث بها فئات عريضة وواسعة من الجماهير العربية. فهناك تمايز بين الثقافة القومية والثقافة الاقوامية المحلية، وتمايز بين الثقافة العالمة والثقافات العامية المحلية، وتمايز بين اللغة العربية الفصحى الواحدة وبين اللهجات العربية وغير العربية المتعددة، ليس فقط على صعيد الوطن العربي بل أيضاً، وفي بعض الحالات، على صعيد القطر العربي الواحد. فالمشكلة، ليست مشكلة الثنائية بين ما هو قومي وبين ما هو أقوامي محلي في الثقافة العربية بل المشكلة لها مستويات اخرى..."[3].

تحدثنا عن التعدد في اطار الثقافة الواحدة وقلنا ان الوحدة السياسية والاقتصادية ستعزز الوحدة الثقافية، ولكن علاوة على ذلك فإن الجابري يرى أن الوحدة الثقافية العربية القائمة الآن يمكن أن تتعزز بصورة كبيرة جداً "لو تحقق سيولة الكتاب والجريدة والمجلة وكل الوسائل الثقافية بين الاقطار العربية دون رقابة ولا مصاعب كتلك التي ترجع الى النقل والى تحويل العملة..."[4]. كما أن الجابري يعطي للتعليم دوراً كبيرا في تعزيز

---

١) تحرير، فهد الفانك، ***الدولة القطرية وامكانيات قيام دولة الوحدة العربية***، مصدر سابق، ص٦٨

٢) فرحان صالح، حوار مع الجابري، "حول الثقافة العربية"، ***المستقبل العربي***، مصدر سابق، ص١٥٢

٣) المصدر نفسه، ص١٥٢

٤) المصدر نفسه، ص١٥١

الوحدة الثقافية فنراه يقول "أنا اعتقد انه لو تمكنا من نشر التعليم وتعميمة بين جميع فئات الشعب في الوطن العربي، فإننا سنصل مستقبلا الى نتيجة يندمج فيها ما هو عام، أي الثقافة القومية بلغتها العربية الفصحة، وما هو خاص، أي الثقافات الاقوامية التي سيكون التعبير فيها حينئذٍ – أي حين يصير التعليم معمماً– تعبيراً عالماً أو اقرب الى التعبير العالم، الشئ الذي سيربطها ويقيم جسورا بينها وبين الثقافة القومية العالمة. هكذا ستتحقق وحدة الثقافة العربية في اطار من التنوع ويتحقق الائتلاف في اطار من الاختلاف، ويتكون الصوت الواحد من خلال تعدد الاصوات"(١). ومن هنا نلاحظ أن الجابري يركز على أن الممارسة هي التي تقدم آفاق الحلول الممكنة ضمن الشروط والظروف الجديدة التي تتطور بتطور وتعمق الممارسة.

**الوحدة والدولة القطرية:–**

كيف تحدد، أو يتحدد اليوم، مفهوم الوحدة في الخطاب العربي؟..انه يتحدد في الاغلب الاعم إما بِ "الاخر" وإما بنقيض الوحدة على صعيد اللغة والذي يعبر عنه بالتجزئة، فكان الاستعمار او الخلافة العثمانية هو "الاخر" وذلك قبل الاستقلال، أما بعد ذلك فان التجزئة كانت تمثل "الآخر". وهنا يرى الجابري استبدال التجزئة بالدولة القطرية حيث انه يعتبر ان ثنائية الوحدة / التجزئة هي ثنائية خاطئة ذلك أننا عندما نجعل التجزئة هي المعرِّفة للوحدة "انما نقوم بعملية افقار خطيرة للواقع العربي الراهن، وبعملية افقار أخطر لمضمون الوحدة وشروط قيامها ومتطلبات تحقيقها وتوطيدها. والنتيجة من كل ذلك تشويه الوعي بالوحدة، على الساحة العربية...ان تصحيح الوعي بالوحدة يجب ان ينطلق من تسمية الامور بأسمائها الحقيقة: من احلال الدولة القطرية محل التجزئة على صعيد الخطاب العربي الوحدوي، الامر الذي يعني أن تحقيق الوحدة عملية تمر ،ولا بد، عبر عملية تحقيق نفي الدولة القطرية العربية "(٢). ويقول الجابري: "نعم التجزئة نفي للوحدة، ولكن على صعيد اللغة فقط، صعيد الاضداد اللغوية. اما على صعيد الواقع،

---

١) المصدر نفسه، ص١٥٢

٢) محمد عابد الجابري، ***اشكاليات الفكر العربي المعاصر***، مصدر سابق، ص ٩٥

وبالضبط الواقع العربي الراهن: فان ما يشكل النفي الحقيقي، الواقعي والموضوعي، للوحدة العربية..هو الدولة القطرية لا بوصفها رقعة جغرافية ذات حدود – وهل هناك من حدود جغرافية بين الاقطار العربية؟ – بل بوصفها مؤسسة "قانونية" قائمة على اساس "ما" من جهة، وكياناً اقتصادياً وسياسياً تابعاً لاحد مراكز الهيمنة الاوروبية من جهة ثانية، وواقعاً اجتماعياً ذا خصائص مميزة من جهة ثالثة.."[1].

من هنا نلاحظ ان تحديد الوحدة بنقيضها اللغوي (التجزئة) هو هروب من مواجهة الواقع مواجهة صريحة، والتستر بالتالي وراء مفاهيم ضبابية معتمة. فكلمة التجزئة تحمل في طياتها أن للاستعمار اليد الطولى في خلق الواقع العربي الحالي (مع اهمال الدور العربي في هذا المجال). وقد يعني ذلك أن الدول العربية كانت قبل الاستعمار "موحدة" وهي لم تكن كذلك: فهي لم تكن موحدة قبل الدولة العثمانية..حتى أن الوحدة تحت حكم العثمانيين كانت مبنية على التعدد ومؤسسة عليه..كانت البلاد العربية "ولايات عربية" تابعة للسلطة العثمانية، فمصر كانت دولة شبه مستقلة، تونس والجزائر كانتا دولتين مستقلتين داخل الامبراطورية، المغرب مستقل بنفسه تماماً...[2]. ولكن مع هذا لا يمكن اهمال دور الاستعمار في تفتيت الوطن العربي وخلقة لمشكلة الحدود، والتي أخذت شكل "الارض الملغومة" بين كل قطر وآخر..وكما يقول الجابري "ان المصالح الامبريالية لا تسمح بقيام وحدة عربية، هكذا بسهولة ويسر، بل انها تعرقلها، وستعرقلها، لان مصالحها لا تخدمها الوحدة.. فمشروع الوحدة الذي نطمح اليه لن يغير واقعنا وحده بل واقع العالم كذلك. ومن أجل هذا يجب ان يكون تفكيرنا في الوحدة وعملنا من أجلها في مستوى خطورة وأهمية التغيير الذي ستحدثه، ليس في واقعنا ومنطقتنا فحسب بل أيضا في العالم كله، أعني خريطته السياسية والاستراتيجية والاقتصادية"[3].

سبق وذكرت أن الجابري يميز بين فكرة الوحدة كما ظهرت في المشرق عنها كما ظهرت في المغرب، كما أن التفكير في الوحدة كان يحمل معنى وحدة أقليمية معينة وليس

---

١) المصدر نفسه، ص٩٤

٢) انظر المصدر السابق، ص١٠٩

٣) انظر المصدر السابق، ص١١٠

وحدة الوطن العربي ككل، ففي بلاد الشام كانت الوحدة تعني وحدة سوريا الكبرى أو الهلال الخصيب ونادراً ما كانت تشمل الخليج واليمن. ومن هنا نلاحظ أن فكرة الوحدة بصورة اجمالية قد وظّفت في المشرق في خدمة الدولة القطرية، قضايا الاستقلال الوطني القطري. وقد انتهى بها الامر الى قيام جامعة الدول العربية التي كرست الاعتراف بالدولة العربية القطرية كما رسم الاستعمار حدودها وحدد وضعها ومنحها كيانها السياسي والاقتصادي...أما في المغرب العربي فإن فكرة الوحدة كما يقول الجابري: "ظهرت في أوائل العقد الثاني من هذا القرن ولكن لا بمعنى الوحدة العربية ولا بمعنى اقامة دولة واحدة في أقطاره بل فقط بمعنى التعاون والتضامن والتنسيق بين الحركات الوطنية، التونسية والجزائرية والمغربية، من أجل مقاومة الاحتلال الفرنسي (وعلى هذا الاساس كان تعاملها)..أما التفكير في وحدة اندماجية على صعيد شمال افريقيا او الاندماج في وحدة عربية شاملة فهذا ما لم يكن مطروحاً على الساحة، بصورة جدية، في يوم من الايام، ولا هو مطروح الان.. فوحدة المغرب العربي في أذهان الحركات الوطنية والمنتظمين في سلك البيروقراطية "والطبقة المسيرة" كانت وما تزال تعني في المغرب العربي التنسيق والتعاون والتكامل وصولاً الى نوع الاتحاد الفيدرالي كهدف للمستقبل"[1]. ومن هنا نلاحظ ان الامور قد سارت في المغرب العربي بصورة جعلت فكرة الوحدة تعني أولاً وقبل كل شئ وحدة النضال، أما الهدف القريب والمباشر فكان استرجاع الدولة القطرية وبنائها أو اعادة بنائها وتأكيدها..

إن الواقع العربي الراهن واقع تشكل فيه الدولة القطرية حقيقة دولية قبل أن تكون حقيقة وطنية قومية، وكان لانهيار الوحدة المصرية السورية انتكاسة خطيرة لقضية الوحدة بمضمونها الجديد: الوحدة تحت شعار القومية العربية. مما زاد في تأكيد الدولة القطرية، وكما يقول الجابري أن "كل دولة قطرية موجودة الان تلتمس الشرعية لوجودها، والشرعية الان تلتمس في المنجزات. وكل دولة تريد أن تقول أنها تستحق أن توجد. ومن هنا الظاهرة التي نشاهدها جميعاً من أن كل دولة عربية عدوة لجارتها، وصديقة لما بعد جارتها. هي عدوة لجارتها لأنها تركز شرعيتها أساساً على من يجاورها.

---

١) محمد عابد الجابري، حسن حنفي، ***حوار المشرق والمغرب***،مصدر سابق، ص٥١

فما زالت الحدود غير نهائية وما زال التدخل في الشؤون الداخلية موجوداً، ولكنها تطمئن الى أن الدولة البعيدة تتضامن معها ضد الجيران"[1]..ولعلنا لاحظنا مما سبق كيف كان العرب في الخمسينات والستينات يعيشون الوحدة على صعيد الشعارات بينما يحيون عملياً بناء الدولة القطرية في حياتهم اليومية، حتى الوحدويون منهم كانوا يفكرون في الوحدة ويبنون الدولة القطرية، أما اليوم فالامر يختلف: لقد تم بناء الدولة القطرية في العالم العربي وعلى من يفكر في الوحدة أن يعي ويفهم أن الوحدة أصبحت تعني نزع لبنة، أو لبنات،من صرح الدولة القطرية وجعلها أساساً لبناء الوحدة.

عرفنا أن الدولة القطرية نقيض الوحدة، كما عرفنا أن الدولة القطرية تسعى بكل السبل نحو تأكيد واقعها، ولكن هل هناك معارضة للوحدة العربية من قبل الدولة القطرية؟ هذا ما يجيبنا عليه الجابري في كتابه "وجهة نظر نحو اعادة بناء قضايا الفكر العربي" بقوله: "ليس هناك في الوطن العربي دولة قطرية سواء كانت ذات جذور عميقة أو غير ذات جذور تعارض أو تستطيع أن تعارض الطموح السائد في أرجاء الوطن العربي قاطبة الى نوع من الوحدة السياسية، نوع من الدولة العربية الواحدة، أو المستجدة، بل بالعكس هناك نظم وحكومات عربية لا تستمد مشروعيتها، على الاقل في نظر نفسها، الا بكونها تعمل وتناضل من أجل الوحدة، وهناك نظم وحكومات عربية أخرى يمكن أن تبلغ بها الشجاعة أي مبلغ ولكنها لا تستطيع المجاهرة بأي شكل من أشكال العداء للطموح السائد نحو وحدة عربية ما"[2]. نلاحظ من كلام الجابري أن الدولة القطرية لا تستطيع بشكل أو بآخر معارضة الوحدة، وبعبارة الجابري أي "وحدة عربية ما"، ذلك أن الجابري يرى أنه يجب أن لا ينظر الى أي نوع من الوحدة بأنه ضد الوحدة العربية الشاملة، فالاخيره هي حلم ايديولوجي شريف وملهم ولكن تحقيقه لن يكون غدا او بعد غد..انه مشروع مستقبلي سيظل يشد اليه العرب لمدة سنين او عقود من السنين، أو حتى مئآت من السنين..اما الطريق الى الوحدة بالنسبة للوضع العربي الراهن وصفّه الداخلي ومحيطه هو في رأي الجابري "طريق متعدد المسالك والمسلك الطبيعي والاقرب الى التحقق هو مسلك

---

١) ندوة "مستقبل العلاقات العربية – العربية"، ***المستقبل العربي***،ع١١٥ (أيلول، ١٩٨٨)ص١٤٤

٢) محمد عابد الجابري، ***وجهة نظر نحو اعادة بناء قضايا الفكر العربي المعاصر***، مصدر سابق، ص١٧٠

الاتحادات الجبهوية سواء على شكل فدراليات او كنفدراليات او حتى على شكل معاهدات ثنائية للتعاون والتكامل بين الحكومات والبلدان العربية"[1].

اذن، يرى الجابري، انه يجب تشجيع كل المحاولات والتجارب التي تؤدي الى نوع من التضامن، الى نوع من العمل المشترك الذي يؤدي الى اتاحة الفرصة للقاء ابناء الامة العربية واختلاطهم واحتكاكهم بعضهم ببعض في المجالات كافة..كما يرى الجابري أن الايديولوجية الوحدوية التي عاش عليها الوحدويون العرب في العقود الماضية (الخمسينات والستينات بصفة خاصة كانت ايديولوجية "طوباوية حالمة الى ابعد حد"..والجانب الطوباوي الحالم..يتمثل في كونها لم تكن تقبل عن الوحدة الاندماجية الشاملة بديلاً..كانت ترفض الشكل الاتحادي بدعوى ان هذا الشكل لا يحقق الوحدة بل يكرس القطرية، وكانت ترفض قيام اي نوع من الوحدة بين الانظمة العربية القائمة بدعوى أن وحدة من هذا النوع هي وحدة حكومات وأنظمة ضد الشعوب العربية، وكانت ترفض الوحدة الاقليمية، كوحدة الهلال الخصيب ووحدة المغرب العربي، بدعوى أن من شأن هذه الاتحادات الاقليمية أن تلغي الوحدة العربية الشاملة...[2]. فالمطلوب ،اذن، هو عملية بناء الوحدة وهذا لا يكون ممكناً الا عبر تبني مشروع الاتحاد الفدرالي بين الاقطار العربية بعد النزول بالدولة القطرية الى مستوى الولاية، اذ ان فكرة الوحدة لا تزال حتى اشعار آخر، من قبيل التفكير الطوباوي، ويعبر الجابري عن ذلك بقولة أن "دولة عربية واحدة يتربع على عرشها خليفة كهارون الرشيد، أو يجلس على كرسي الرئآسة فيها مناضل كجمال عبدالناصر فشئ يبدو لي من قبيل الحلم، وهو غير قابل للتحقيق الا بحدوث معجزة"[3]..(لاحظ مدى تأثره واعجابه بجمال عبدالناصر وهنا نذكر بأنه كان في سوريا فترة المد الناصري) ولما كان عصرنا ليس عصر الاحلام ولا عصر المعجزات بل عصر الحسابات الدولية والضرورات الاقتصادية والخطوات السياسية، من هنا كانت مباركته

---

١) محمد عابد الجابري، ***اشكاليات الفكر العربي المعاصر***، مصدر سابق، ص١٦٣-١٦٤

٢) انظر، محمد عابد الجابري، ***وجهة نظر نحو اعادة بناء قضايا الفكر العربي المعاصر***، مصدر سابق، ص٢١٣

٣) محمد عابد الجابري، حسن حنفي، ***حوار المشرق والمغرب***،مصدر سابق، ص٥٣

لاي خطوة للوحدة والاندماج ذلك أن الوحدة العربية "ستبقى مشروعاً للمستقبل لمدى أجيال لانها – حسب ما يبدو الان على الاقل – لن تتحقق كاملة مرة واحدة بل لا بد من أن تمر عبر مراحل واشكال وصيغ"(١)

ان الوحدة العربية المطلوبة كما يراها الجابري هي الوحدة الممكنة وليس بالضرورة تلك الوحدة التي تجسمها دولة واحدة، حيث ان الدولة الواحدة، كما لاحظنا من اقواله، ستظل، ولمدة طويلة، هدفاً بعيدا ومطلباً عسير التحقق. وفي هذا الاطار نجده يقول أن الوحدة" الضرورية المطلوبة اليوم هي الوحدة الممكنة ، هي تلك التي تنطلق اولا من التعايش السلمي بين الدول العربية، والمتجاورة منها خاصة، في اطار من الثقة المتبادلة والعمل المشترك في الميادين الاقتصادية والعلمية والتكنولوجية والثقافية"(٢).

ولعل قول الجابري السابق ينقلنا الى الحديث عن الوحدة والتقدم، وهو ما سنعالجه بعد قليل، وعندها سيظهر لنا بصور اكثر وضوحا العلاقة بين الوحدة والدولة القطرية وذلك من خلال طرح مسألة التقدم...

**الوحدة والتقدم:-**

هدفان عامان، مترابطان ومتكاملان، يشدان العرب شداً، ويشدان شعوبا أخرى الى المستقبل، هما: التقدم والوحدة. فالعرب عندما يقرأون تاريخهم فإنهم يقرأون فيه تاريخ دولة واحدة، وهذا كما يقول الجابري "يجعلنا ندرك كيف ولماذا يستسهل العرب دوماً شأن الوحدة السياسية ويجعلون من عدم تحقيقها العائق الاساسي أمام التقدم..فالوحدة هي امكانية تحققت في الماضي وكانت في الوقت نفسه مبدأ التقدم في هذا الماضي وعلامة عليه، ولذلك فهي مبدأ للتقدم في الحاضر وعلامة عليه"(٣). واليوم فإن الوحدة بالنسبة للعرب في رأي الجابري "ليست شرطاً للوجود في عالم المجموعات

---

١) محمد عابد الجابري، ***وجهة نظر نحو اعادة بناء قضايا الفكر العربي المعاصر***، مصدر سابق، ص٢١٦

٢) فهد الفانك، تحرير، ***الدولة القطرية وامكانيات قيام دولة الوحدة العربية***، مصدر سابق، ص٧٢

٣) فهد الفانك، تحرير، ***الدولة القطرية وامكانيات قيام دولة الوحدة العربية***، مصدر سابق، ص٦٧

المتكتلة الكبيرة وحسب بل هي أيضاً شرطٌ في تحقيق توازنهم النفسي والاجتماعي، اي في تخفيض درجة التوتر عندهم على صعيد الفكر والوجدان، كما على الصعيد الاجتماعي.."[1].

وقبل الحديث عن أي شأن من الشؤون العربية الاساسية، وعن أي تفكير جدي في المستقبل العربي، فإن الجابري يؤكد على ضرورة التعرف على حقائق ثلاث تلخص جوهر الوضع العربي في نظره، وهي:[2]

١) ان الدولة القطرية العربية أصبحت الان حقيقة واقعة أكيدة وعنيدة، ويجب أن نعترف بحقيقة أنها ليست الحكومات الحالية ولا الطبقات المسيرة الراهنة هما وحدهما اللتان تتمسكان بالدولة القطرية وتدافعان عن حدودها وتعملان على حماية كيانها، بل يمكن القول اجمالاً أن اية حكومة عربية قطرية تقوم غداً، وان أي طبقة مسيرة تحل محلها الطبقة المسيرة في هذا القطر أو ذاك، لا بد أن تجد نفسها مضطرة الى الاعتراف بواقع أن الدولة القطرية هي الان حقيقة لا يمكن القفز عنها، ليس فقط بسبب ما تبديه أجهزتها الداخلية أو تفرضه ارتباطاتها الخارجية من مقاومة واعتراض بل ايضا بسبب البنيات الاجتماعية والنفسية التي أنشأتها وكرستها في جسم مجتمعها...

٢) أن الدولة القطرية ذاتها هي عبء على نفسها، وكل المؤشرات تؤكد أن حالتها ستزداد تفاقماً على مر الايام..مشاكل على مستوى المواد الغذائية، التشغيل، تصريف المواد الاولية أو المصنوعة، الحصول على العملة الصعبة، انتشار الامية، البطالة ، التبعية لمراكز الهيمنة العالمية.... وبناء على ذلك فإن من البديهي أنه ليس هناك من مخرج من هذه الوضعية المتفاقمة غير قيام نوع من الاتحاد بين الدول العربية يجعل التكامل والتعاون والتضامن بينها حقيقة واقعية نامية ومتجذرة، فالوحدة ليست شرطاً للتنمية والتقدم فحسب، بل انها ايضاً المتنفس الوحيد والسليم للدولة القطرية العربية المختنقة..وانخراطها في عصر العلم والتكنولوجيا..فالتقدم على صعيد "العلم والتقانة والصناعة والاقتصاد..ألخ مشروط، في الوطن العربي، بقيام نوع من الوحدة بين

---

١)المصدر نفسه،ص٦٦

٢) المصدر نفسه ، ص٦٧-٦٩

الاقطار العربية يجعل قدراتها الاقتصادية والبشرية تتكامل في برامج للتنمية، شاملة وبعيدة المدى"[1]

٣) الحقيقة الثالثة وهي تعبر عن خصوصية الواقع العربي والتي تتمثل في أن الوحدة الثقافية العربية المتجذرة والتي هي ثقافة لا قطرية أساساً تتعارض مع القطرية ولا تعترف بها ولا تخضع لمنطقها. (وقد سبق أن شرحنا ذلك..)

وعلى هذا فإن الوحدة الثقافية العربية ومتطلبات التقدم (العلم والتكنولوجيا وقيام مجموعات كبيرة) تدخل اليوم في تعارض مع ظاهرة الدولة القطرية وبناءاً على ذلك يمكن أن نفهم قول الجابري التالي: "يجب أن ننظر الى الوحدة، لا كهدف في ذاته، بل من أجل ما ستشبعه من حاجات وتحققه من منافع وتستجيب له من ضروريات. فعلى أساس ابراز الحاجات والمنافع والضرورات يجب أن يتأسس كل اقتناع بالوحدة مستقبلاً..انه بدون هذا ستبقى، كما كانت، حلماً ايديولوجياً رومانسياً يبحث له عن مجال للتحقق خارج الحاضر: في أوهام الماضي واحلام الاتي، الذي لا يأتي"[2]. فالجابري يرى انه بدون "حد أدنى من الوحدة العربية الحقيقية النفعية لا نهضة ولا تقدم في الوطن العربي"[3]

انطلاقا من الامور السابقة فإنه ليس امراً مستبعداً ،ولا جديداً، أن يطرح الجابري أنه بدون تحقيق التكامل الاقتصادي "لا يمكن ان تقوم تنمية حقيقية في أي مجال.."[4]. ولكن مع هذا فإنه يرى انه لا يمكن تحقيق الوحدة الاقتصادية، او حتى مجرد الشروع الجدي فيها، دون تحقيق الوحدة على صعيد الفكر والايديولوجيا والشعور والوجدان (وبالتالي تحقيق الوحدة على صعيد الاجتماع والسياسة) فهو يقول أن "الوحدة على صعيد البنيات المادية لا يمكن أن تتحقق في الوطن العربي بمعزل عن وحدة مماثلة على صعيد البنيات الفكرية والنفسية والوجدانية"[5].

---

١) محمد عابد الجابري، ***اشكاليات الفكر العربي المعاصر***،مصدر سابق، ص٧٨

٢) محمد عابد الجابري، ***وجهة نظر نحو اعادة بناء قضايا الفكر العربي المعاصر***،مصدر سابق، ص٢١٣

٣) المصدر نفسه، ص١٢٦

٤) محمد عابد الجابري، وآخرون، ***وحدة المغرب العربي***(بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٧)ص١٢٠

٥) فهد الفانك، تحرير، ***الدولة القطرية وامكانيات قيام دولة الوحدة العربية***، مصدر سابق، ص٦٦

ويؤكد الجابري أن الدول الاوربية، مثلا، يمكنها أن تخطوا خطوات كبيرة على درب الوحدة على الصعيد الاقتصادي كما هو حالها اليوم في اطار السوق الاوروبية المشتركة، ودون أن تحس بالحاجة الماسة الى وحدة فكرية نفسية ووجدانية. وذلك أن "الفرق بين العالم العربي وأوروبا في هذا المجال هو أن "العنصر الموحد" بين الدول الاوروبية هو المصلحة الاقتصادية، هو تقدم الصناعة فيها وحاجتها الى أسواق خارجية، أما فيما عدا ذلك فليس هناك ما يوحد بينها، فهي لا ترغب، ولا تقبل، أن تعمل من أجل اقرار لغة واحدة تحمل ثقافة واحدة لان ما يميز الكيانات الاوروبية الحالية ويمنحها خصوصيتها هو بالضبط اللغة والثقافة..وقد تقبل الدول قيام نوع من الوحدة السياسية الدستورية فيما بينها ولكن لا يبدو على الاقل أنها يمكن أن تقبل بلغة أوروبية واحدة وفكر أوروبي واحد..."[1].وهنا نلاحظ كيف أن الجابري يعطي بعداً خاصاً للثقافة وهو ما سبق أن أوضحناه، وذكرنا كيف انه قد أعطى التعليم وتعميمه أهمية كبيرة في سبيل التوحيد الثقافي وتوسيع قاعدته...

وبشكل عام يمكن تلخيص ما سبق ذكره بخصوص العلاقة بين الوحدة والتقدم بقول للجابري جاء فيه: "ان دخول العرب عصر التكنولوجيا بكل ما تعنيه كلمة "دخول" من القدرة على الاستيعاب والمساهمة في الانتاج والتجديد، يتوقف على عمليتين متكاملتين: قيام نوع حقيقي من الوحدة العربية (تنسيق فعلي، اتحاد فدرالي..الخ..) وانجاز نوع حقيقي كذلك من الثورة الثقافية تستهدف محو الامية ونشر المعرفة العلمية على أوسع نطاق، وغرس أسس العقلانية في التفكير والسلوك وجميع مرافق الحياة"[2]. من هنا نلاحظ مدى التداخل بين كل من: الوحدة والثقافة والدولة القطرية والتقدم.

موضوع آخر سأطرحه بأيجاز تحت عنوان "الوحدة والتقدم" الا وهو العلاقة التي يراها الجابري بين التهديد الخارجي والتقدم، فهو يرى أن التهديد الاجنبي هو الذي ربط ويربط في الوعي العربي منذ يقظته الحديثة الى الان بين الوحدة والتقدم، وهو نفسه الذي

---

١) انظر المصدر السابق،ص٦٦-٦٧

٢) محمد عابد الجابري، "العرب والغرب على عتبة العصر التكنولوجي"، *الفكر العربي المعاصر*، ع٣٢ (تشرين أول، ١٩٨٤) ص٥٠-٥١

يعطيها مضمونها ويرسم طريق تحديدها، فالجابري يقول: "يمكن القول بصفة عامة أن التهديد الخارجي وليس التطور الداخلي هو المهماز الرئيسي الذي أيقظ ويوقظ في نفوس العرب ، الشعور القومي، وهو الذي يدفعهم الى ربط التقدم بالوحدة، وبالتالي اعطاء النهضه بعداً افقيا (=الوحدة)الى جانب بعدها العامودي (=التقدم)"[1]. ولما كان هدف الجابري "تعرية اللامعقول في الحلم النهضوي العربي"[2] فإنه يرى أن الطرح الواقعي العلمي هو الذي سيرتفع بالخطاب النهضوي العربي الى المستوى العقلاني الذي يمكنه من التفكير في مشروعة المستقبلي انطلاقا من تحليل الواقع الملموس بدلاً من التفكير فيه انطلاقاً من سراب الحلم وهواجسه..حيث "أن *الاخر* في الواقع العربي الراهن هو مزيج من المعطيات الذاتية والموضوعية تشكل رواسب الماضي والتدخلات الامبريالية أهم عناصرها..."[3]. فالجابري لا يقلل من دور الاستعمار والامبريالية والصهيونية في عرقلة نهضة العرب وقمع كل تحرك حقيقي يقومون به نحو تحقيق حلمهم المشروع في الوحدة والتقدم.

لاحظنا كيف أن الجابري لا يعفي العرب من المسؤولية تجاه قضية النهضة العربية، وكما أنه لا يوقعها على كاهل الغرب وحده، ولعل هذا يظهر بوضوح أكثر في قوله "لا يجوز ولا يصح وضع قضية النهضة العربية، في هذا الوقت الذي يوجد فيه العلم على عتبة عصر التكنولوجيا، على كاهل الغرب وحدهم واعفاء العرب من كل مسؤولية، كما انه لا يجوز ولا يصح ارجاع المشكل كله الى وضعية العرب وتناقضاتهم، وبالتالي إعفاء الغرب من كل مسؤولية. ان العلاقة بين العرب والغرب حقيقة واقعية لا يجوز اغفالها أو التقليل من شأنها (وهل يمكن اغفال واقع الهيمنة الامبريالية على العرب، وهل يجوز اغفال دور اسرائيل، وهل يجوز اغفال الدور الاستراتيجي للنفط العربي بالنسبة للغرب..وأيضاً هل يجوز اغفال تغلغل منتوجات الحضارة الغربية، المادية والمعنوية، في جسم المجتمع العربي..) ان العلاقة بين العرب والغرب علاقة متعددة الابعاد متداخلة الاطراف تشكل

---

١) محمد عابد الجابري، ***الخطاب العربي المعاصر***،مصدر سابق، ص١٠٨

٢) المصدر نفسه، ص٣٦

٣) المصدر نفسه،ص٣٦

بنية معقدة من تلك البنيات التي لا يمكن تغيير أي شئ فيها الا بعد هزة عنيفة تهدها هداً. والسؤال الذي يطرح نفسة الان هو: اين ستحدث هذه الهزة؟ هل في الغرب أم عند العرب؟ وهل ستكون هزه سلمية أم أنها ستكون من نوع آخر؟.."[1]

ما هي الحلول التي يقدما الجابري للخروج من أزمة التبعية والتشرذم؟ هذا ما سيكون مدار حديثنا في الاسطر القادمة. وهنا أشير الى أن الجابري يرى أنه رغم أن المستوى الاقتصادي يبدو وكأنه المستوى الاقل حظاً من مظاهر الوحدة القائمة في الوطن العربي، فإن هذا ليس صحيحاً الا أذا حصرنا الاقتصاد في المبادلات التجارية والمشاريع المشتركة. أما اذا وسعناه ليشمل "الاعانات" التي تتم في اطار قرارت مؤتمرات القمة، او في اطار العلاقات الثنائية، فإننا سنجد أن ريع الاقطار العربية الريعية يستفيد منه بشكل أو بآخر أقطار عربية أخرى، وذلك الى درجة ان بعضها أصبح دولا شبه ريعية، اذ تتوقف آلية الحياة فيها على ما تتلقاه من اعانات، وأهمها الاعانات العربية. ولو صب هذا المال العربي المتنقل في صورة اعاناة، لو صب في قوالب منظمة عقلانياً وفي مشاريع منتجة، لنشأ عنه أساس لقاعدة اقتصادية عربية مشتركة.."[2].

أما عن الحلول التي يقدمها الجابري بشكل عام للخروج من أزمة التخلف والتبعية والتشرذم فهي:[3].

أ) تحويل القبيلة الى لا قبيلة: الى تنظيم سياسي اجتماعي، لاحزاب او نقابات..الخ، وفتح الباب لقيام مجال سياسي حقيقي، تمارس فيه السياسة ويصل بين سلطة الحاكم وامتثال المحكوم.

ب) تحويل الغنيمة الى اقتصاد ضريبة في اطار اقتصاد اقليمي جهوي وفي اطار سوق عربية مشتركة تفسح المجال لقيام وحدة اقتصادية عربية تنموية.

ج) تحويل العقيدة الى مجال يسمح بحرية التفكير وحق الاختلاف والتحرر من سلطة الجماعة المغلقة والتحرر من سلطة عقل الطائفة والتعامل مع عقل اجتهادي نقدي..

---

١) محمد عابد الجابري،"العرب والغرب على عتبة العصر التكنولوجي"، ***الفكر العربي المعاصر***، مصدر سابق،ص٥١

٢) أنظر، محمد عابد الجابري، ***وجهة نظر نحو اعادة بناء قضايا الفكر العربي المعاصر***، مصدر سابق،ص٢١٥

٣) لمزيد من التفاصيل انظر، محمد عابد الجابري، ***العقل السياسي: محدداته وتجلياته***، مصدر سابق، ص٣٧٤

# الاسلام في فكر محمد عابد الجابري

عرفنا ان الجابري استاذ للفلسفة والفكر العربي الاسلامي في كلية الاداب بالرباط منذ عام ١٩٦٧، وما يهمنا هنا هو التذكير بالجانب المتعلق في الفكر العربي الاسلامي، ذلك اننا سنتناول في هذا الفصل نظرة الجابري الى الاسلام وذلك من خلال التعرض الى بعض الجوانب في فكره والتي تتعلق بهذا الموضوع، والتي تتمثل في: العلاقة بين الدين والدولة والسياسة، العلاقة بين العروبة والاسلام، ونظرته الى تطبيق الشريعة الاسلامية. وسنتناولها على التوالي في هذا الفصل من البحث.

## الدين والدولة والسياسة:-

سنتناول تحت هذا العنوان العلاقة بين الدين والدولة من جهة، والعلاقة بين الدين والسياسة من جهة أخرى، وكل على انفصال.

* **الدين والدولة:-**

لا يخفي علينا الجابري انه لا يستسيغ الحديث عن مسألة الدين والدولة، كما أنه لا يستسيغ طرح مسألة العلمانية بهذا الاسم في الوطن العربي، حيث انه ليس هناك ما يبرر طرح مسألة العلمانية بالمعنى الذي تفهم به هذه المسألة في أوروبا والذي يتمحور أساساً في فصل الدين عن الدولة، كما أن البيئة التي يعيش فيها الجابري، وأقصد هنا المغرب العربي، لا تعرف مثل هذه المسألة (وهنا يظهر لنا مدى تأثير بيئته على فكره) فهو يقول "وانا هنا لا أجد مفراً من مصارحتكم بأن فكري لا يستسيغ الحديث عن مشكل اسمه الدين والدولة، في الوطن العربي الحديث والمعاصر"[١].ذلك ان المشكل الجوهري في رأي الجابري هو شكل الدولة فهو يؤكد بأن "الاسلام دنيا ودين..وان القول بان الاسلام دين لا دولة هو قول يتجاهل التاريخ"[٢]. كما أنه يقول "الاسلام دين ودولة، عقيدة

---

١) محمد عابد الجابري، ***اشكاليات الفكر العربي المعاصر***، مصدر سابق، ص١٠٥

٢) محمد عابد الجابري، حسن حنفي، ***حوار المشرق والغرب***، مصدر سابق، ص٤٧

وشريعة، ديانة وحضارة، ملة وثقافة..الخ.."[1]..(وهنا يتساءل الباحث عن مدى تأثر الجابري بفكر مؤسس جماعة الاخوان المسلمين، حسن البنا، ذلك انه استخدم ذات عباراته وكلماته...) وبما أن المشكل الجوهري في راي الجابري هو شكل الدولة فانه يقول في تأكيد ذلك أن الاسلام "لم يحدد لا بنص قرآني ولا بحديث نبوي الشكل الذي يجب ان تكون عليه الدولة فيه وانما ترك المسألة لاجتهاد المسلمين"[2]. ويقول ايضاً: "ليس هناك نص تشريعي من القرآن أو السنة ينظم مسألة الحكم، بل المسألة مسألة اجتهادية يجب أن تخضع لظروف كل عصر ومتطلبات تحقيق الشورى فيه"[3].

ولما أنه ليس هناك نصوص شرعية من قرآن أوحديث تحدد شكل الحكم واسلوبه وكيفيته واجهزته..فان الجابري يرى أن ما يبقى بأيدي المسلمين هو التجربة التاريخية لامة العربية الاسلامية وفي هذا اللاطار يقول: "إن الدولة زمن النبي والخلفاء كانت دولة فتوحات في قمتها قاده عسكريون هم في نفس الوقت رجال الدين، رجال الدعوة، أما في قاعدتها فكانت الرعية كلها جنداً، لقد جندت القبائل العربية كلها للفتح. لم يكن هناك اذن فصل بين شئ يمكن تسميته ب "المجتمع السياسي"، أعني اجهزة الدولة باختلاف انواعها، وبين شئ اسمه "المجتمع المدني"، العلماء والاحزاب والتنظيمات وعامة الناس. أما زمن معاوية فقد انقلبت دولة الفتوحات هذه الى دولة "الملك السياسي": دولة انفصل فيها الامراء عن العلماء والجند عن الرعية، فبرز "مجتمع سياسي" مكون اساساً من الامراء والجند، و"مجتمع مدني" مكون أساساً من العلماء والرعية. ولم يكن من الممكن – من وجهة نظري – أن يستمر الوضع كما هو عليه الامر من قبل لان ذلك كان يقتضي ان يلتحق جميع "العلماء" وقد كثر عددهم، بالأمراء ليشكلوا معهم قيادة واحدة كما كان الحال زمن النبي والراشدين، كما كان يقتضي أن يلتحق جميع المسلمين، عرباً وغير عرب، وفي جميع الاصقاع، بصف الجند المقاتلين الفاتحين. لقد كثر العلماء من قراء ومحدثين ومفسرين وفقهاء ولغويين..ألخ فكان لا بد أن ينفصلوا عن الامراء، كما كثر عدد

---

١) المصدر نفسه، ص٨٨

٢) المصدر نفسه،ص٤٧

٣) محمد عابد الجابري، ***العقل السياسي العربي: محدداته وتجلياته***، مصدر سابق، ص٣٧٢

المسلمين، شرقاً وغرباً، فكان لا بد أن يكون منهم عدد قليل من الجند وعدد كثير هم الرعية التي تعمل من اجل المجتمع كله في الحرف والمهن من زراعة وصناعة ألخ. ان انفصال العلماء عن الامراء والرعية عن الجند كان أمراً محتوماً"[1]. ولعلنا نلاحظ مما سبق ان الجابري يرى أن معاوية (ومن جاء بعده سواء في العصر الاموي، أو العصور التالية لها) حتى لو اراد ان يسير في الناس بسيرة ابي بكر وعمر وعثمان لما كان بامكانه ذلك نتيجة للتطور الذي حصل في المجتمع الاسلامي والذي اصبح يتألف من امراء وجند، ومن علماء ورعية.

ومن جهة اخرى يرى الجابري ان الشورى زمن ابي بكر وعمر قد طبقت بالكيفية التي تتناسب مع ذلك العصر، كما ويرى انه اذا اردنا انّ نستخلص الدروس السياسية من احداث "الفتنة" وجب القول ان ما حدث كان تعبيراً عن فراغ دستوري كبير في نظام الحكم الذي قام بعد وفاة النبي (ص) ويتجلى هذا الفراغ في: عدم تحديد طريقة مضبوطة لاختيار الخليفة، وعدم تحديد مدة ولايته، وعدم تحديد اختصاصاته.[2]. وعلى هذا فان الجابري يرى ان اعادة بناء الفكر السياسي الاسلامي المعاصر يجب ان ينطلق من اعادة تأصيل مبادئ ثلاث هي: الشورى، المسؤولية وتوزيعها في جسم المجتمع، قوله (ص): أنتم أدرى بشؤون دنياكم.[3].

ويتساءل الجابري عن سبب تأخر تنظيم مسألة الخلافة بالرغم من انها كانت منطلق البحث النظري في العقيدة؟ فمسألة الخلافة هي أول قضية طرحت نفسها على الفكر العربي الاسلامي الا انها كانت آخر قضية حاول هذا الفكر تنظيرها، مع العلم أن النقاش في هذه القضية قد بدأ في وقت مبكر وانه كان المنطلق الذي قام عليه علم الكلام، اكثر انواع العلوم العربية الاسلامية ايغالا في التجريد والتنظير. وهو يجيب على ذلك بقوله: "ان تنظير الخلافة او "التشريع" في الحكم كان يتطلب وجود "قواعد" للتفكير تستطيع أن تبرر الواقع وتقننه باضفاء الصبغة الشرعية علية. وهذه القواعد لم تتوفر للعقل العربي بشكل مضبوط الا مع الشافعي...واضع اصول الفقه، لا بل قواعد المنهج للفكر

---

١) محمد عابد الجابري، حسن حنفي، ***حوار المشرق والغرب***، مصدر سابق، ص٤٨

٢) انظر، محمد عابد الجابري، ***العقل السياسي العربي***، مصدر سابق، ص٣٦٩-٣٧١

٣) انظر، محمد عابد الجابري، ***وجهة نظر نحو اعادة بناء قضايا الفكر العربي المعاصر***، مصدر سابق،ص٩٤

السني، وقد حدد الاصول في اربعة هي: الكتاب والسنة والاجماع والقياس"[1].

لقد عرفنا رأي الجابري في العلاقة بين الدين والدولة، ولكن كيف ينظر الى هذه العلاقة في الفكر العربي الحديث والمعاصر؟ هذا ما سنتناوله ونعرض له في الاسطر القادمة..فالجابري يرى ان مشكل تنظيم وترتيب العلاقة بين الدين والدولة ليس مشكلا عربياً يعم الوطن العربي، بل انه "مشكل قطري محلي يخص بضعة اقطار عربية في المشرق، وعلى رأسها سوريا ولبنان..ان هذا المشكل يرجع في اصوله الى القرن الماضي..الى الصراع الذي قام بين عرب الشام، بل عرب المشرق عامة، وبين السلطة العثمانية التي كانت تحكم باسم الاسلام بلدانا عربية فيها اقليات دينية غير مسلمة"[2]. وطرحت هذه العلاقة بين الدين والدولة تحت شعار العلمانية وكانت ترتبط، كما تبين لنا من قول الجابري، ارتباطا عضويا بمشكلة الاقليات الدينية. وعلى هذا الاعتبار فهي كانت تعني بناء الدولة على اساس ديمقراطي عقلاني، ومن هنا فإن الجابري يقول "ثنائية الدين والدولة في الفكر العربي الحديث والمعاصر ثنائية مزيفة. وهي مزيفة لانها تخفي مشكلة اخرى حقيقية بصورة نسبية هي مشكلة الطائفية في بعض الاقطار العربية"[3]...(وسنأتي الى معالجة مسألة الاقليات والطائفية في قسم خاص من هذا البحث).

لعله قد اتضح لنا حتى الان أن مسألة العلاقة بين الدين والدولة هي مسألة تخص بعض اقطار الوطن العربي كما يرى الجابري، ومن هنا فانه يقول ان مسألة هذه العلاقة "يجب ان تعالج على ضوء المعطيات الواقعية الخاصة بكل بلد عربي على حده... حيث ان الحل الذي يناسب طبيعية المشكل في لبنان لا يصلح بالضرورة لكل من سوريا ومصر والسودان.."[4]. كما ان مشكل الدين / الدولة هو في راي الجابري مشكل الديمقراطية، حيث يقول ان "مشكل الديمقراطية: شكل انبثاق الحكم من ارادة المواطنين واختيارهم. هذا هو المشكل الحقيقي. اما بقية الاسماء والشعارات فتحمل من الزيف اكثر مما تحمل من

---

١) محمد عابد الجابري، "الفقه والعقل والسياسة"، ***الفكر العربي المعاصر***، ع٢٤ (شباط،١٩٨٣)ص٢٣-٢٥

٢) محمد عابد الجابري، ***اشكاليات الفكر العربي المعاصر***، مصدر سابق، ص١٠٦

٣) محمد عابد الجابري، ***وجهة نظر نحو اعادة بناء قضايا الفكر العربي المعاصر***، مصدر سابق،ص١٠٢

٤) المصدر نفسه، ص٩٨-٩٩

الحقيقة.."[1]. ومشكل الديمقراطية المطروح هنا، كما يراه الجابري، هو نفسه كما كان منذ خلافة معاوية ولا زال حتى الان..ويؤكد ذلك قوله: "وفي اعتقادي ان الدولة العربية الحالية لا تختلف عن الدولة العربية الاسلامية كما عرفها التاريخ منذ معاوية، اي منذ ان تأسست في المجتمع العربي الاسلامي الدولة بمعنى الكلمة، الدولة بوصفها مؤسسة قهرية تضع نفسها فوق المجتمع وتحكمه باسم الدين او باسم المصلحة العامة، او بغير ذلك من الشعارات"[2].

وفي ختام الحديث عن ثنائية الدين / الدولة فإنني اشير الى ان الجابري يستبعد – على الاقل في المدى المنظور – اعادة تحقيق حكم الخلفاء الراشدين من جديد كما كان لأن من جملة شروط وجوده قيام دولة الفتح التي يكون فيها الامراء والعلماء فريقاً واحدا والجند والرعية فريقا واحداً..وهو يرى انه لم يعد ممكناً على المدى المنظور الا شئ واحد وهو "اقامة الدولة على اساس المصلحة والمنفعة..على الطريقة التي يقتضيها عصرنا، الطريقة التي تهدف الى اشراك الامة كلها في اختيار الحكام ومراقبتهم وفق قواعد ونظم قانونية دستورية"[3].

*** الدين والسياسة:–**

إن السياسة كما يراها الجابري هي السياسة من منظور ليبرالي ويتبين لنا ذلك من قوله "السياسة تقوم على البراغماتية (=اعتبار المنفعة) فهل ننتظر من العقل السياسي ان يناقض موضوعه، ما منه يستمد هويته"[4]. وفي بداية الحديث عن الدين والسياسة فإنه لا بأس من الاشارة الى قول الجابري بأن "الدور المحرك للحياة الثقافية في التاريخ العربي الاسلامي كان للسياسة. لقد قامت السياسة في الساحة الثقافية العربية بالدور ذاته الذي قام به العلم في الثقافة الاوربية"[5]. وهو ما سنجد له توضيحاً في أقوال الجابري التي

---

١) محمد عابد الجابري، ***اشكاليات الفكر العربي المعاصر***، مصدر سابق، ص١٠٧

٢) المصدر نفسه، ص ١٠٧

٣) محمد عابد الجابري، حسن حنفي، ***حوار المشرق والغرب***، مصدر سابق، ص٤٩

٤) محمد عابد الجابري، ***العقل السياسي العربي***، مصدر سابق، ص٨

٥) محمد عابد الجابري، ***اشكاليات الفكر العربي المعاصر***، مصدر سابق، ص٦١

سنعرض لها.

يرى الجابري أن الدعوى المحمدية مثلت مشروعاً سياسيا، وهذا المشروع يتمثل على حد تعبيره بأن "الدعوة المحمدية كانت تحمل منذ بدايتها مشروعا سياسيا واضحا هو القضاء على دولتي الفرس والروم والاستيلاء على كنوزهما"(١).ولكن الاسلام، كما يرى الجابري، لم يكن سياسيا في ولادته بل دخل مرحلة السياسة بعد بيعة العقبة الاولى والثانية حيث يقول "بيعة العقبة الاولى والثانية اللتين دشنت الدعوة المحمدية بهما مرحلة جديدة تماماً، مرحلة الهجرة الى المدينة والشروع في تأسيس الدولة والتفاصيل والملابسات القبلية والسياسية"(٢). ولما كان الجابري يرى ان الاسلام في ان واحد ديناً ودولة فإننا نراه يقول:"وبما أن الفكر الذي كان حاضرا في الصراع الايديولوجي العام كان فكرا دينيا أو على الاقل في علاقة مباشرة مع الدين، فإنه كان أيضا ولهذا السبب في علاقة مباشرة مع السياسة"(٣).

ان السياسة في الوطن العربي منذ القدم وحتى اليوم ما زالت تؤلف نسقاً متكاملاً موحداً على حد قول الجابري "ذلك ان السياسة عندما بدأت تمارس باسم الدين والقبيلة ومازالت كذلك الى اليوم"(٤). والعلاقة بين الفكر والسياسة لم تكن تتحدد بسياسة الحاضر وحده بل ايضا بسياسة الماضي وذلك لان سياسة الحاضر انما كانت تجد تبريرها في سياسة الماضي ومن هنا يقول الجابري "ظل الماضي السياسي يعتبر على الدوام اصلا للتشريع. انه المضمون الحقيقي للاجماع، اجماع السلف، الاصل الثالث من اصول التشريع في الاسلام"(٥). كما يعتقد الجابري أن المواقف السياسية كان يبحث لها عن سند عام من الدين وكان ذلك اولى الخطوات التنظيرية التي اسست علم الكلام..فعلم الكلام في حقيقته التاريخية.. "لم يكن مجرد كلام في العقيدة بل كان ممارسة للسياسة في الدين"(٦). كما ان

---

١) محمد عابد الجابري، ***العقل السياسي العربي***، مصدر سابق، ص٥٧

٢) المصدر نفسه، ص٨٩-٩٠

٣) محمد عابد الجابري، ***تكوين العقل العربي***، مصدر سابق،ص٣٤٦

٤) محمد عابد الجابري، ***العقل السياسي العربي***، مصدر سابق، ص١٣

٥)محمد عابد الجابري، ***اشكاليات الفكر العربي المعاصر***، مصدر سابق،ص٦١

٦) محمد عابد الجابري، ***تكوين العقل العربي***، مصدر سابق،ص٣٤٧

الجابري يقول ان فقه السياسة في حقيقته وجوهره كان "تشريعاً لماضي الحكم في الاسلام وبالخصوص فترة الخلفاء الراشدين و لم يكن تشريعا لحاضره ولا لمستقبله"[١].

"ان المشكلة ليست مشكلة الدين يجب ان تفصل دائما ما بين الدين وما بين الاستغلال السياسي للدين"[٢]. هذا هو رأي الجابري، باختصار، في العلاقة بين الدين والسياسة، ذلك ان " الدين في الاسلام من شأن الفرد وحده، فالعلاقة بينه وبين الله علاقة مباشرة تتم بدون توسط، ما يحتاج اليه مثل هذا المجتمع (الذي يدين اهله بالاسلام، والذي لا توجد فيه مؤسسة دينية تمثل الدين وتتكلم بأسمه) هو فصل الدين عن السياسة، بمعنى تجنب توظيف الدين لاغراض سياسية، باعتبار ان الدين يمثل ما هو مطلق وثابت بينما تمثل السياسة ما هو نسبي ومتغير: السياسة تحركها المصالح وتسعى الى كسب مصالح اما الدين فيجب ان ينزه عن ذلك والا فقد جوهره وروحه..جوهر الدين وروحه انه يوحد ولا يفرق..اما السياسة فجوهرها وروحها انها تفرق..فهي الى ان تكون "فن ادارة الاختلاف" اقرب منها الى اي شئ آخر..والاختلاف في الدين اذا كان اصله سياسيا يؤدي ضرورة الى الطائفية ومن ثم الى الحرب الاهلية"[٣]. من هنا نلاحظ ان توظيف الدين في السياسة يؤدي الى الحرب الاهلية في رأي الجابري ويؤكد ذلك بقوله "منذ زمن عثمان، اي منذ بدا توظيف الدين في المجتمع الاسلامي توظيفا سياسيا، والاختلاف فيه قائم، والحرب الاهلية لا تبدأ الا لتقوم من جديد، بصورة أو بأخرى، ولكن دائما بتوظيف الدين في السياسة نوعا من التوظيف"[٤].

ولعل قول الجابري بفصل الدين عن السياسة يتضح بقوله "ان العلمانية بمعني فصل الدين عن الدولة غير ذات موضوع في الاسلام لانه [ليس][٥] فيه كنيسة حتى تفصل عن الدولة. اما اذا كان المقصود هو انفصال العلماء عن الامراء والجند عن الرعية، اي ما نعبر عنه اليوم بفصل الدين عن السياسة، وعدم السماح للجيش بالانخراط في الاحزاب

---

١) محمد عابد الجابري، ***وجهة نظر نحو اعادة بناء قضايا الفكر العربي المعاصر***، مصدر سابق،ص٩٢

٢) محمد عابد الجابري، ***اشكاليات الفكر العربي المعاصر***، مصدر سابق،ص١٨٦

٣) محمد عابد الجابري، ***وجهة نظر نحو اعادة بناء قضايا الفكر العربي المعاصر***، مصدر سابق،ص١٠٦

٤) المصدر نفسه،١٠٦

٥) سقطت الكلمة من الطباعة وتم اظافتها بناءا على عنوان الموضوع (الاسلام ليس كنيسة كي نفصله عن الدولة)

السياسية فهذا ما حدث فعلا منذ معاوية..وهو ما يشكل الجزء الاعظم من التجربة التاريخية للامة الاسلامية"[1]. وهنا يتساءل الباحث هل يقع الجابري في تناقض بقوله تارة ان هناك فصل بين الدين والسياسة منذ معاوية وقوله سابقا ان هناك توظيف للدين في المجتمع الاسلامي توظيفا سياسيا منذ زمن معاوية؟

يرى الجابري ان توظيف الدين في السياسة انما يلجأ اليه العقل السياسي للجماعة عندما لا يكون من مصلحتها التعبير عن قضيتها الاجتماعية / الاقتصادية تعبيراً سياسيا صريحا ومطابقا، لان ذلك يفضح الطابع المادي الاستغلالي لتلك القضية، أو عندما لا تستطيع تلك الجماعة بسبب ضعف وعيها، نتيجة عدم بلوغها مستوى التطور يجعلها قادرة على طرح قضيتها الاجتماعية / الاقتصادية طرحاً مكشوفا..والاسلام السياسي، كما يرى الجابري، لا يمكن ان ينجح في تحقيق اهدافه التاريخية التي تمنحه الوجود ومبررات هذا الوجود الا اذا ارتفع بنفسه الى مستوى هذه الاهداف. الا اذا طرح مسألة الاستبداد والظلم وما يرتبط بها او يترتب عليها من مسائل، سياسية واجتماعية واقتصادية، طرحا سياسياً واضحاً وبخطاب سياسي صريح. الا اذا دخل السياسة من بابها الرسمي المعاصر والواسع"[2].

## العروبة والاسلام:-

لقد سبق ان اشرنا الى ان الجابري يرى ان هناك ارتباط عضوي بين العروبة والاسلام، رغم وجود تعددية اثنية دينية لغوية في الوطن العربي، حيث ان الجابري يرى ان هذه التعددية لا تنتمي الى قضية عروبة/الاسلام وانما تنتمى الى قضية الديمقراطية، فهو يعيد قضية العروبة والاسلام الى مسألة الديمقراطية.وكما ان مسألة الدين والدولة طرحت تحت شعار العلمانية، فإن مسألة العروبة والاسلام طرحت كذلك تحت هذا الشعار الذي يعتبره الجابري مسألة مزيفة تعبر عن حاجات بمضامين غير متطابقة مع تلك الحاجات. ويرى

---

١) محمد عابد الجابري، حسن حنفي، ***حوار المشرق والغرب***، مصدر سابق، ص٤٩

٢) محمد عابد الجابري، ***وجهة نظر نحو اعادة بناء قضايا الفكر العربي المعاصر***، مصدر سابق،ص ١٠٧-١٠٨

الجابري ضرورة استبعاد شعار العلمانية والتعويض عنه بشعار الديمقراطية والعقلانية "فهما اللذان يعبران تعبيرا مطابقا عن حاجات المجتمع العربي: الديمقراطية تعني حفظ الحقوق، حقوق الافراد وحقوق الجماعات، والعقلانية تعني الصدور في الممارسة السياسية عن العقل ومعاييره المنطقية والاخلاقية وليس عن الهوى والتعصب وتقلبات المزاج."[1].

ويحاول الجابري الوصول الى الزيف في التقابل الذي يقام بين العروبة والاسلام وذلك بالتعرف على المرجعيتين التراثية والنهضوية لكل منهما:

**العرب والعروبة:** يرى الجابري ان مفهوم العرب والعروبة كما يستعملان اليوم في الخطاب العربي الحديث والعاصر لا يجدان اطارهما المرجعي في الحقل المعرفي الذي يقدمه التراث والذي يشكل الاسلام فيه الحقيقة الوحيدة التي لا تقبل الدخول في علاقة مثنوية مع أي طرف اخر. أما في المرجعية النهضوية فإن مفهوم العروبة كان يتحدد ليس بالعلاقة مع الاسلام، لا كدين ولا كحضارة، بل بالعلاقة مع "الاخر" التركي الحاكم والمتحكم.[2].

**الاسلام:** حيث يرى الجابري ان الاسلام كما يتحدد داخل مرجعيته الخاصة لا يحتمل ولا يقبل ان يوضع كطرف في ثنائية مع طرف آخر غير الاطراف التي هي اديان..فأي طرف آخر يوضع في علاقة تقابل معه سيعتبره من يفكر في داخل المرجعية الاسلامية الخالصة بمثابة دين مغاير للاسلام او بمثابة نفي والغاء له، هذا في المرجعية التراثية، اما في المرجعية الحضارية (النهضوية) فإن هناك ثلاث استعمالات او معاني تعطى لكلمة اسلام:[3].

* الاسلام النموذج والمثال: وهو الصورة التي يكونها المسلمون لانفسهم عما يجب ان يكونوا عليه في عقيدتهم وسلوكهم وحياتهم العامة..اي فترة النبوة وبدرجة اقل فترة الخلفاء الراشدين.
* الاسلام التاريخي (الصورة المثالية الوجدانية):الاسلام كما مارسه المسلمون عقيدة وسلوكاً، فرادى وجماعات، طوال الاربعة عشر قرناً الماضية، والذي ينظر اليه على انه كان دائما دون ما ينبغي ان يكون.

---

١) محمد عابد الجابري، حسن حنفي، ***حوار المشرق والمغرب***، مصدر سابق، ص٤٦

٢)محمد عابد الجابري، ***وجهة نظر نحو اعادة بناء قضايا الفكر العربي المعاصر***، مصدر سابق، ص٢٤-٢٦

٣) المصدر نفسة، ص٣٠-٣١

* الاسلام بالمعنى الاستشراقي للكلمة المعنى الذي يقصد به الحضارة العربية الاسلامية..وهذه ساهم فيها العرب وغير العرب من المسلمين.

ان ما يريد الجابري ان يصل اليه من الحديث السابق هو ان العروبة سواء بالمعنى الذي تعطيه لها المرجعية التراثية او الذي تلبسه لها المرجعية النهضوية شئ، والاسلام بمختلف المضامين التي تعطى له شئ آخر. فإذا كان الاسلام كما يتحدد في المرجعية التراثية، او كما يصنف في المرجعية النهضوية، لا يقبل ان يوضع في ثنائية تقابله مع العروبة. فإي اسلام اذن هذا الذي يقحم في ثنائية العروبة والاسلام الرائجة كثيرا في خطابنا المعاصر؟ يجيبنا الجابري على ذلك بالقول ان "هناك وراء هذه الثنائية قضية سياسية كان لها معنى في وقت من الاوقات (وتحولت الى قضية ايديولوجية مزيفة لتغطي على قضايا حقيقية تفضل السياسة السكوت عنها)..هي مرتبطة برد فعل العرب على سياسة التتريك العثماني، وما آل اليه الامر في المشرق من طرح الاختيار بين فكرة الجامعة الاسلامية وفكرة الدولة العربية التي تضم فقط الولايات العربية التي كانت تحت الحكم العثماني المباشر"(١).

يتضح لنا من الحديث السابق ان ثنائية عروبة /اسلام لا تعم الوطن العربي كاملاً بل انها ترتبط بالمشرق العربي خاصة. اما في المغرب العربي فإنه قد سبق ان ذكرنا ان الجابري يؤكد ان سكان المغرب لا يفصلون بين العروبة والاسلام، وان هذا الزوج لا يطرح مشكلا من نوع المشكل الذي يطرح في صيغة الاختيار بين احد الطرفين، او ايهما يجب ان يكون اولا وايهما يجب ان يكون ثانيا، ولعل هذا كان له تأثير على فكره فنراه كعربي مغربي لا يفصل بين الاسلام والعروبة (الا عندما يتعلق الامر باتباع دين آخر) بل انه يقول "اذا كان العرب هم مادة الاسلام حقاً، فان الاسلام هو روح العرب. ومن هنا ضرورة اعتبار الاسلام مقوما للوجود العربي.الاسلام الروحي بالنسبة للعرب المسلمين، والاسلام الحضاري بالنسبة للعرب جميعاً، مسلمين وغير مسلمين"(٢). ويقول ايضاً "لا بد

---

١) المصدر نفسه، ص٣١

٢) محمد عابد الجابري، حسن حنفي، ***حوار المشرق والمغرب***، مصدر سابق، ص٤٦

لكل حركة تريد ان تتحرك في المستقبل ان تأخذ في حسابها توظيف الاسلام، او على الاقل ان الاسلام لنا جميعا وليس لاحد الحق في احتكاره كسلاح او عقيدة"[1].

ومن جهة اخرى، فإن التقابل بين العروبة والاسلام كما يقول الجابري لم "يكن تقابلا ماهويا، فلم يكن الاختيار المطروح ان نختار العروبة او نختار الاسلام، بل كان: اي "الاخرين" يجب ان نقاوم اولا (الدولة العثمانية ام الغرب) وبالتالي اي سلاحين يجب ان نحرك في البداية: سلاح العروبة ام سلاح الاسلام؟ فالثنائية اذن لم تكن ثنائية على صعيد الهوية بل كانت على مستوى الاداة التي ينبغي تحريكها للدفاع عن الهوية وحمايتها.."[2] ليس هذا فحسب بل ان الثنائية على مستوى الاداه لم تكن قائمة محتدمة في الوطن العربي ككل، بل كانت كذلك في سوريا ولبنان والجزيرة بصورة خاصة، اما في اقطار المغرب العربي فلم تكن ثنائية من هذا النوع لان الاخر الذي يتهدد اهله كان واحداً وليس متعددا، كان الاستعمار الفرنسي، اي الاخر الاوروبي، ليس غير...وقد سبق ان اوضحنا ذلك في موضع آخر.

مسألة أخرى، جديرة بالوقوف عليها، ينبهنا اليها الجابري بقوله "انا التعارض بين طرفي ثنائية عروبة/اسلام لا يقع في الحقيقة على مستوى تعدد الديانات بل يقع على صعيد الاسلام نفسه. إن جل الذين يطرحون مسألة العروبة والاسلام هم مسلمون..[3]

نلاحظ من قول الجابري هذا ان الذين يطرحون مسألة العروبة والاسلام سواء كانوا اسلاميين او علمانيين هم يدينون بالاسلام غالباً. وثنائية علمانيون /اسلاميون يمكن ان تكون موجودة في قطر جميع سكانه عرب ومسلمون..[4]. وعلى هذا فإن الجابري يقول ان "ثنائية علمانيون /اسلاميون لا تتطابق مع ثنائية عروبة /اسلام. هذه مسألة وتلك مسألة اخرى"[5] وهنا يقف الباحث متسائلا: هل قول الجابري هذا يعني انه يمكن أن

---

١) ندوة، "مستقبل العلاقات العربية – العربية"، ***المستقبل العربي***، مصدر سابق، ص١٤٤

٢) محمد عابد الجابري، ***وجهة نظر نحو اعادة بناء قضايا الفكر العربي المعاصر***، مصدر سابق، ص٢٧

٣) محمد عابد الجابري، "حول الحوار القومي – الديني"، ***المستقبل العربي***، ع١٣٠ (كانون اول، ١٩٨٩) ص٤٠

٤) في المغرب العربي لا تستعمل كلمة علمانيون ولا علمانية. ان كلمة تحديث هي الرائجة، انظر المصدر السابق ص٤٠-٤١

٥) محمد عابد الجابري، "حول الحوار القومي – الديني"، ***المستقبل العربي***، مصدر سابق، ص٤١

يكون علمانيا دون ان يميز بين العروبة والاسلام؟ وهل قوله هذا فيه نوع من التحيز للعلمانية؟

ويرى الجابري انه لا معنى لطرح مسألة الجزية وجعلها عنصرا في العلاقة بين العروبة والاسلام، وهذا الامر سنعرض له عند الحديث عن تطبيق الشريعة الاسلامية. اما عن الاستعانة بغير المسلمين في الاعمال الادارية والخدمات الاجتماعية واسنادها اليهم في الدولة الاسلامية فهو امر حصل وتبقى مسألة اهمية الوظيفة ونسبة الموظفين غير المسلمين...ألخ وهنا يرى الجابري أن "هذه أمور يجب أن يرجع فيها الى اعتبار الحاجة من جهة والى المساواة المبدئية التي يجب ان تكون دعامة من دعائم الدولة من جهة اخرى. والصراع في هذه المسألة، صراع الاقلية ضد الاغلبية او الاغلبية ضد الاقلية المستأثرة، يجب ان يطرح بمضامينه الحقيقية: صراع المصالح، وليس صراع العروبة/ الاسلام"(١).

ويرى الجابري ايضاً ان الرابطة القومية شئ والرابطة الدينية شئ آخر، حيث ان الاسلام "دين عالمي مفتوح على جميع القوميات، كما كان مفتوحاً عند ظهورة على جميع القبائل، ومن غير المعقول بتاتاً ان نطالب العرب ان لا يكونوا عربا قوميين بدعوى الخوف على اسلامهم، مثلما لا يعقل بتاتا أن نطلب من الايرانيين او الباكستانيين ان لا يكونوا قوميين فارسيين او باكستانيين خوفا على اسلامهم..ولكن التغاير بين الرابطة القومية والرابطة الدينية لا يعني ان الواحدة منهما تنفي الاخرى ولا انها تكون بديلا عنها. ومهمة الفكر القومي العربي والفكر الديني الاسلامي معاً هي العمل على تمتين العلاقة بين الرابطتين وتوجيههما نحو المصلحة العامة المشتركة"(٢). واذا كان الفكر القومي العربي يعترف بالاسلام كمقوم من مقومات الامة العربية فهو، كما يقول الجابري، لم يوظف هذا القول في العمل القومي، وعلى هذا فإنه يرى انه "ما لم يصل الفكر القومي العربي الى تحقيق امكانية خروج جمهور المصلين من المساجد وهم يهتفون بشعارات القومية العربية فإن العيب والنقص يجب ان يسجلا على الفكر القومي وحامليه ودعاته وليس على الجماهير العربية المسلمة"(٣).

---

١) المصدر نفسه، ص٣٨

٢) المصدر نفسه، ص٤١

٣) المصدر نفسه، ص٤١-٤٢

اما عن تحقيق التكامل بين الرابطتين القومية والدينية وقيام حوار بينهما، فإن الجابري يرى انه لا يمكن أن يتم ذلك الا بقيام ارضية مشتركة بين الفكر القومي والفكر الديني وهذا يتطلب "ان يكون داعية القومية العربية على معرفة جيدة بالاسلام ديناً وحضارة، وان يكون داعية الاسلام على معرفة كافية بالفكر العالمي المعاصر، انه بدون هذا الارضية المشتركة لا يمكن قيام حوار بناء. وبدون انتساب الفكر القومي الى مرجعية الفكر الديني، وانتساب الاخير الى مرجعية الاول، لا يمكن ان يكون حوار بينهما ولا يمكن تحقيق التكامل بين الرابطتين القومية والدينية"[1]. يتبين لنا من اقوال الجابري السابقة كيف انه يربط بين الاسلام والعروبة ولا يجد ضرورة او سببا للفصل بينهما حتى في اطار الفكر القومي العربي والذي يطالبه بأن يوظف الاسلام في العمل القومي وليس الاكتفاء فقط بمجرد الاعتراف به كمقوم من مقومات الامة العربية.

## تطبيق الشريعة الاسلامية:-

يتمحور رأي الجابري بشأن تطبيق الشريعة الاسلامية حول نقطة اساسية الا وهي النسبية التي طبعت تطبيق الشريعة الاسلامية على مر العصور، حيث انه يرى ان تطبيق الشريعة الاسلامية كان نسبياً حتى في زمن النبي (ص) حيث اتصف تطبيق احكام الشرع بالتدرج الذي اكتسى نوعا من المرحلية: ينص اولاً على حكم ثم يأتي حكم آخر يكمله او يعدّله..كأن الحكم الاول تمهيد للحكم النهائي. كما ان النسبية هي الطابع الذي يطبع تطبيق الشريعة الاسلامية من طرف الخلفاء والحكام والفقهاء وغيرهم.

تأكيدا لما ذكرناه يقول الجابري: "انا لا أجد حرجا لا في ديني ولا في وجداني ولا في عقلي اذا قلت ان الشريعة الاسلامية لم تطبق قط "كاملة" في يوم من الايام"[2].

ويوضح الجابري رأيه هذا في النقاط التالية:[3]

١) لم تطبق كاملة في زمن الرسول (ص) لسبب بسيط هو انها لم تنزل دفعة واحدة وانما استغرق نزول ما نزل منها، وتقرير ما تقرر منها حياة الرسول (ص) كلها من يوم بعثه

---

١) المصدر نفسه، ص٤٢

٢) محمد عابد الجابري، ***وجهة نظر نحو اعادة بناء قضايا الفكر العربي المعاصر***، مصدر سابق، ص٧٣

٣) انظر المصدر السابق، ص٧٣-٧٤

الى اللحظة التي لفظ فيها انفاسه، اما المصدر الثاني للشريعة وهو السنة فلم يكتمل الا في اللحظة التي كفَّ النبي (ص) فيها عن الكلام والفعل، لحظة وفاته عليه السلام. ومن هنا فإن ما طبق من الشريعة في كل مراحل نزولها هو ما كان قد نزل منها، وهو جزء منها وليس كلها، ذلك انها قبل وفاة النبي (ص) لم تكن قد اكتملت بعد...

٢) لم تطبق كاملةً زمن الخلفاء الراشدين لسبب بسيط هو ان الصحابة واجهوا نوازل ومستجدات لم تكن قد ظهرت زمن النبي (ص) فكان عليهم ان يجتهدوا..وكان لا بد ان يتناقشوا فيختلفوا ويتفقوا، وكان لا بد ان يتصرفوا اما عن اجتهاد واما باجماع (الاصل الثالث والرابع من اصول التشريع الاسلامي). والحديث عن تطبيق الشريعة كاملة لا يصح من الناحية المبدئية الا عندما تكون اصولها الاربعة قد تقررت كلها. وهذا لم يحدث الا بعد ان انتهت الحقبة التي كان فيها الصحابة هم اهل الحل والعقد، حقبة الخلفاء الراشدين...

٣) ان الشريعة تضم (الى جانب القرآن والسنة وما قرره اجماع الصحابة واجتهادهم) ما قرره الفقهاء المجتهدون في كل العصور، وايضاً ما سيقرره الفقهاء المجتهدون الذين ستعرفهم العصور الاتية، فالشريعة الاسلامية شريعة جميع العصور والازمان...والاصح ان يقال انها تكتمل باستمرار (او ان الامرة يجب ان يكون كذلك)...

وهنا، وبعد الذي ذكرناه، قد يقول البعض ان المقصود بالكمال هو ان ما وجد من الشريعة زمن الرسول وزمن الخلفاء الراشدين قد طبق تطبيقاً كاملاً. ويجيبنا الجابري بأن وجهة النظر هذه يمكن ان تعارض على مستوى الجدل فقط بالامور التالية:[1]

* ان الشريعة زمن الرسول (ص) قد عرفت، سواء على مستوى النص القرآني او على مستوى السنة النبوية، تطوراً جعل منها شريعة حية وليس شريعة جامدة، تطور يعكسه بوضوح وجود الناسخ والمنسوخ، فهل الاحكام التي كان يجب العمل بها ثم نسخت تدخل في دائرة كمال تطبيق الشريعة او لا تدخل، أوليسَ الكمال هنا للناسخ وليس للمنسوخ...

---

١) انظر المصدر السابق، ص٧٤-٧٥

* هل كان جميع الذين اسلموا زمن النبي (ص) يقومون بما تقرر من احكام، فيصلون ويزكون ويرجمون الزاني او يجلدونه ويقطعون يد السارق بمجرد الاعلان عن اسلامهم. الم يكن النبي (ص) يقبل من وفود القبائل مجرد الاعلان عن اسلامهم (الشهادة) ثم يأتي بعد ذلك مرحلة تعليمهم شؤون دينهم بواسطة من يبعثه اليهم لهذا الغرض...

* الم يكن كثيراً من الاعراب الذين اسلموا "ولما يدخل الايمان في قلوبهم" مقصرين في تطبيق ما كان موجودا من الشريعة، و لم يكن يخفى ذلك على رسول ا لله (ص)...هل يمكن ادخال هؤلاء او أولئك في الحساب وضمن القول بأن ما كان موجودا من الشريعة طبق تطبيقا كاملا على الناس الذين اعلنوا اسلامهم...

* الناس الذين اسلموا حين الفتح لم تطبق عليهم الشريعة تطبيقاً كاملا بمجرد اعلان اسلامهم، بل كان لا بد من وقت يتعلمون فيه دينهم، فكان لا بد من وقت يمر عليهم دون تطبيق الشريعة عليهم، وهم مسلمون، تطبيقاً كاملاً...

* وما القول في اجتهادات الخلفاء الراشدين التي يوجد فيها ما يشبه الناسخ والمنسوخ، ففي توزيع العطايا والغنائم، مثلاً، فإن اسلوب وطريقة ومقاييس توزيعها اختلفت عند عمر عنها عند ابي بكر..لقد اجتهدوا وكل مجتهد مصيب..ولكن هل يدخل كل اجتهاد في دائرة كمال الشريعة؟؟...

* انه في عصرنا وما سيأتي بعده من العصور، هناك أمور كثيرة مستجدة.. ودائرة الشريعة غداً اوسع من دائرة نفس الشريعة كما تطبق اليوم..او كما طبقت بالماضي..ومن هنا افليس ميلها واقترابها من الكمال في هذه الحالة اقوى مما كان عليه الامر في اي زمن مضى؟...

مما سبق نلاحظ ان الجابري يحاول الوصول الى حقيقة مفادها ان الكمال في مجال تطبيق الشرائع، كما في اي مجال آخر، هو كمال نسبي سواء تعلق الامر بزمن الانبياء او زمن حواريهم وصحابتهم او ما جاء ويجيء بعدهم من أزمان، انه لا كمال في هذه الدنيا لا في مجال تطبيق الشريعة ولا في غيره من المجالات..وعلى هذا فإنه يرى ان "تحقيق الحياة الفاضلة الاسلامية تحقيقا كاملاً مطلقاً لا يمكن ان يتم الا في ظروف خارقة للعادة، وفي نهاية الرحلة البشرية على هذه الارض، بمجيء المهدي المنتظر..وفكرة المهدي المنتظر..

ترمز إلى أن تطبيق الشريعة، اي تحقيق المدينة الفاضلة الاسلامية سيظل نسبيا في الزمن البشري..وانه لن يكون كاملاً تاماً الا بمجيء "المهدي المنتظر" الذي سيجسم بصورة شاملة ومباشرة ارادة الله على الارض..."[1].

وفيما يتعلق بنموذج عصر النبوة والخلفاء الراشدين وامكانية تحقيقه اليوم فإن الجابري يرى انه "بالنسبة للاسلام لا جدال في ان النموذج الامثل في عصر النبوة وعصر الخلفاء الراشدين، وسيبقى هذا النموذج نموذجاً أمثل في مخيالنا الاجتماعي وفي احلامنا وتطلعاتنا، وهذا لا شك فيه. لكن هل يمكن تحقيق هذا النموذج اليوم كما كان؟ اعتقد ان المسافة بيننا وبينه مسافة بعيدة والتاريخ لا يعيد نفسه بالصورة نفسها. واذا كان بعضنا اليوم ينشد ذلك النموذج رافضاً ما سواه، رافضاً الحاضر والمستقبل، فهذا موقف غير ملزم للجميع، لا دينياً ولا عقلياً: فالاسلام كما نقول دائما هو دين كل زمان ومكان، واذن فلا بد من ان تختلف الحضارة الاسلامية باختلاف العصور. نعم، ان مبادئ الدين ثابته لا تتغير، ولكن المبادئ هي دائماً مجرد مبادئ ويبقى الاجتهاد باباً واسعاً امام الفكر والعمل، ويقدم لنا عصر النبوة وعصر الخلفاء نماذج كثيرة ومتنوعة للاجتهاد بالمبادئ .."[2]. كما ويرى الجابري انه ليس هناك احد في الاسلام يملك سلطة اغلاق باب الاجتهاد، لا الحكام ولا الفقهاء ولا غيرهم..فالاجتهاد اصل من اصول التشريع، وهو..عبارة عن بذل الجهد الفكري في طلب العلم باحكام الشريعة، وهذا حق لكل مسلم توفرت فيه الشرورط المعرفية التي تمكنه من ذلك..."[3]

وعلى ضوء مطالبته باعادة بناء منهجية التفكير في الشريعة انطلاقا من مقدمات جديدة ومقاصد معاصرة..بتجديد ينطلق لا من مجرد استئناف الاجتهاد في الفروع بل من اعادة تأصيل الاصول في اعادة بنائها – يعتبر الجابري ان تطبيق النظام الاسلامي كان ولا زال وسيبقى مطلباً ينادي به كل مسلم ذلك انه "ليس هناك نظام اسلامي جاهز محدد

---

١) محمد عابد الجابري، ***وجهة نظر نحو اعادة بناء قضايا الفكر العربي المعاصر***، مصدر سابق، ص٦٩

٢) محمد عابد الجابري، ***اشكاليات الفكر العربي المعاصر***، مصدر سابق، ص١٨٧

٣) انظر ، محمد عابد الجابري، ***وجهة نظر نحو اعادة بناء قضايا الفكر العربي المعاصر***، مصدر سابق، ص ٥٤

ومعلوم يعم الحياة بجميع مرافقها، فباستثناء ما يتعلق بالعبادات والاحوال الشخصية وبعض المعاملات التي تضبطها النصوص، فليس هناك في مجال الاقتصاد السياسي مثلاً سوى مبادئ عامة تقرر بصورة او بأخرى الخلقية الاسلامية في المبادئ، وبالتالي فالنظام الاسلامي في هذه المجالات متروك للاجتهاد..ان الامر ليس هيناً فهو يتطلب تجديداً جذرياً وتجديداً في الاعماق ومن الاعماق.."[1].

وفيما يتعلق بمسألة الشورى وممارستها في العصر الحاضر يقول الجابري في كتابه: العقل السياسي العربي "وفي العصر الحاضر ليس هناك غير اساليب الديمقراطية الحديثة التي هي ارث للانسانية كلها. ان تحديد طريقة ممارسة الشورى باللانتخاب الديمقراطي الحر، وان تحديد مدة ولاية رئيس الدولة في حال النظام الجمهوري ومع اسناد مهام السلطة التنفيذية لحكومة مسؤولة اما البرلمان في حال النظام الملكي والنظام الجمهوري معاً، وان تحديد اختصاصات كل من رئيس الدولة والحكومة ومجلس الامة بصورة تجعل هذا الاخير هو وحده مصدر السلطة، تلك ثلاثة مبادئ لا يمكن ممارسة الشورى في العصر الحاضر بدون اقرارها والعمل على ضوئها.."[2]. ولعل قول الجابري هذا يذكرنا بالفراغ الدستوري في نظام الحكم الذي قام بعد وفاة النبي (ص) والذي ذكرناه سابقاً عند حديثنا عن العلاقة بين الدين والدولة، فهذه هي الحلول لذلك الفراغ.

ويرى الجابري ان تطبيق الشريعة الاسلامية لا يعني فقط اقامة الحدود، كقطع يد السارق مثلاً، حيث انه يقول "هناك مبادئ واحكام اخرى يجب ان تطبق مثل مبدأ "الشورى" في الحياة السياسية، ومبدأ "كاد الفقر ان يكون كفراً" في الحياة الاجتماعية والاقتصادية، ومبدأ "هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون" في الحياة الفكرية، ومبدأ "الناس كأسنان المشط" في مختلف مرافق الحياة..الخ.. واعتقد ان تطبيق هذه المبادئ يجب ان يسبق تطبيق بعض الحدود الشرعية، خاصة حد السرقة.."[3]. فهو يرى ان تطبيق حد السرقة يكون تطبيقاً نسبيا على سبيل التأديب والتعزير وإذا ما أضفنا الى ذلك تعقد

---

١) المصدر نفسه، ص٤٢

٢) محمد عابد الجابري، ***العقل السياسي العربي***، مصدر سابق، ص٣٧٢

٣) محمد عابد الجابري، ***وجهة نظر نحو اعادة بناء قضايا الفكر العربي المعاصر***، مصدر سابق، ص٧٠

الحياة المعاصرة، فإن الجابري يقول في هذا الاطار "اما التطبيق الكامل باقامة الحد المنصوص علية فاعتقد ان العمل بمبدأ "ادرأوا الحدود بالشبهات" سيحمل كل قاضٍ نظيف نزيه على التوقف طويلا قبل اتخاذ القرار.."[1].

وبخصوص مسألة الجزية فإن الجابري يرى ان تطبيق الشريعة في هذا الميدان هو مسألة اجتهادية، فنجده يقول "اعتقد شخصياً ان الرجوع الى اسباب النزول اي الى الظروف التي اقتضت وضع الجزية على اهل الكتاب، مع اعتماد المصلحة العامة كما تتحدد في عصرنا، وفي مقدمتها: الوحدة الوطنية والقومية، اعتقد ان مراعاة هذين الجانبين معاً تفترض جعل مسألة تطبيق الشريعة في هذا الميدان مسألة اجتهادية..غير المسلمين في دولة الاغلبية المسلمة يخضعون لسلطة هذه الدولة، يجري عليهم ما يجري على بقية المواطنين. وبما ان الفتح قد توقف، وبما ان الانخراط في الجندية اصبح يشمل جميع المواطنين، وبما ان المواطنين جميعاً يؤدون للدولة ضريبة واحدة – وهي بمثابة خراج او جزية على الجميع – تختلف باختلاف الوضعية المالية وليس باختلاف الدين ولا العرق..، ضريبة لا تقوم مقام الزكاة ولا علاقة لها بها ...فلا معنى لطرح قضية الجزية اليوم.."[2]

---

١) المصدر نفسه، ص٧٢

٢) محمد عابد الجابري، "حول الحوار القومي – الديني"، *المستقبل العربي*، مصدر سابق، ص٣٨

# الديمقراطية في فكر محمد عابد الجابري

لا حظنا في الفصول السابقة كيف ان الجابري يعطي اهمية كبيرة لمسألة الديمقراطية حتى انه يؤكد لنا انه يتحيز الى الديمقراطية. ولاحظنا كذلك كيف انه يعيد الكثير من المسائل، التي تطرح نفسها على الفكر العربي المعاصر، الى مسألة الديمقرطية: فمشكل الدين /الدولة، ومشكل العروبة /الاسلام، هي اساساً مشكل الديمقراطية. كما ان الطريق الى الوحدة العربية لا بد ان يمر من بوابة الديمقراطية. نظراً لهذه الامور، ولاهمية موضوع الديمقراطية، فقد ارتأيت ان اخصص للديمقراطية في فكر الجابري فصلاً خاصاً. وسأتناول في هذا الفصل المواضيع التالية: العلاقة بين الديقراطية من جهة وكل من الشورى الحاكمية مع بيان رأيه في الحرية، العلاقة بين الديمقراطية والاقليات، نظرة الجابري الى مسألة المرأة.

**الديمقراطية والشورى والحاكمية:-**

ان الديمقراطية المطلوبة اليوم، كما يرى الجابري، هي نفسها التي رفضت بالامس، ليس على مستوى الشعار وحسب بل على مستوى التطبيق أيضاً، فها هو يقول "واذا سألت عما يقصده الرأي العام العربي بالديمقراطية اليوم جاء الجواب على صورة قائمة من المطالب السياسية على رأسها حرية الفكر وحرية التعبير وحرية الانتماء السياسي وحرية تشكيل الاحزاب وحرية الانتخاب..الخ"[1] ويعتبر الجابري أن الديمقراطية هي عملية انقاذ للأمة "من الصوت الواحد والفهم الواحد وكل شئ يقال فيه واحد ما عدا الإله الذي قال في محكم كتابه: "وأمرهم شورى بينهم" "[2].

فالهدف المباشر من الديمقراطية هو ايجاد احسن صيغة ممكنة لحل مشكلة الحكم وذلك بجعل الحاكمين خاضعين لارادة المحكومين او مضطرين للخضوع لها خضوعا منظما مقننا تسهر عليه وتجعله فعليا أجهزة ومؤسسات تنتخب انتخاباً حراً من طرف جميع افراد

---

١) محمد عابد الجابري، ***وجهة نظر نحو اعادة بناء قضايا الفكر العربي المعاصر***، مصدر سابق،ص١١١

٢) محمد عابد الجابري، حسن حنفي ، ***حوار المشرق والمغرب***،مصدر سابق ص٢٠١

الشعب البالغين سن الرشد، ومن هنا فإنه يمكننا التحدث عن ثلاثة وظائف تاريخية للديمقراطية في الوطن العربي، كما يراها الجابري، وهي "تغيير البنية الذهنية العربية، تيسير الاندماج الاجتماعي وانتقال السلطة الى النخب الجديدة داخل كل قطر عربي، شق الطريق نحو وحدة عربية"(١).

اذا كانت تلك وظائف الديمقراطية فإنه حقاً تكون المطالبة بالديمقراطية في الوطن العربي، هي في الحقيقة مطالبة باحداث انقلاب تاريخي لم يشهد عالمنا لا الفكري ولا السياسي ولا الاجتماعي ولا الاقتصادي له مثيلاً. اذن فلا بد من نفس طويل ولا بد من عمل متواصل، وأيضاً لا بد من صبر ايوب...فرغم ان الضغط على الناخبين وتزوير اللوائح والاصوات والتلاعب بارادة المواطنين قد اصبحت راسخة في الممارسة الديمقراطية في الوطن العربي..مع ذلك تبقى الديمقرطية حتى في صورتها تلك مطلباً للجميع، حيث انه اذا ما كانت هناك تصرفات واعمال غير ديمقراطية اطلاقا، او ما هو عكس الديمقرطية في ظل تجربة ديمقراطية ما فإنه ينبغي ان لا نفكر بالديمقراطية ذاتها، وكما يقول الجابري: "فالام التي ترغب في مولود يخرج من رحمها محكوم عليها ان تتحمل غثيان الوحم وضربات الجنين وتقلباته، وأيضا كل ما يلزم من الحيطة والحمية، ثم ما يتلو ذلك كله من عسر الوضع، واحيانا ولربما هذه حالنا، ما قد يتطلبة ذلك من عملية قيصرية. واذن الديمقراطية في مجتمعاتنا العربية ليست قضية سهلة، ليست انتقالا من مرحلة الى مرحلة بل هي ميلاد جديد، وبالتأكيد عسير"(٢).

ولعل عبارة للجابري تعبر لنا عن مدى الحاجة الى الديمقراطية والحرية، لا بل مجرد حق طلب الكلمة فقط، فهو يقول: "ان مأساتنا في الوطن العربي الراهن هو اننا لسنا فقط محرومين من الكلمة بل وأيضا من حق طلب الكلمة، الحق الذي بدونه يفقد الانسان هويته كانسان. ذلك بأنه بدون هذا الحق لن يكون الانسان "حيواناً ناطقاً" بل سيبقى "حيوانا...." وبأمكانك ان تملأ النقط بما شئت ولكن لتعلم أنه بدون وضع كلمة "ناطق" مكانها فإنك لن تحصل على "الانسان": اذن بدون النطق (=العقل /الكلمة) لا تغيير ولا

---

١) محمد عابد الجابري، ***وجهة نظر نحو اعادة بناء قضايا الفكر العربي المعاصر***، مصدر سابق،ص١٢٦

٢) المصدر نفسه، ص١٢٢

ثورة ولا اصلاح"[1]. ولكن لعل ذلك الصوت الذي خاطب الجابري من داخله يعبر لنا عن امور كثيرة يريد الجابري قولها، هذا الصوت الذي قال"الكلمة لا تعطى، والحقوق لا تمنح، وانما تؤخذ، ويجب ان نأخذها يجب ان نفرض الديمقراطية فرضاً..طال الزمن او قصر، ويجب ان ندفع الثمن..صغر الثمن او كبر"[2]. وفي الاطار ذاته يقول الجابري "ان "حق الرد" من الحقوق التي يجب ان نحترمها ونحرص على حمايتها..ذلك لان من أهم الحقوق التي يحرم منها "الانسان العربي" من المهد الى اللحد، "حق الرد""[3]. فحق الرد كما يرى الجابري نفتقده في كل مجال من مجالات حياتنا...

كان الحديث السابق عن الديمقراطية والحرية ومدى اهميتهما للانسان العربي، في نظر الجابري، ولكن هل الديمقراطية هي الشورى؟ هل يمكن المطابقة بينهما؟ موضوع يتحدث عنه الجابري، ولعله قد تبين لنا بصورة غير مباشرة ان الديمقراطية في رأي الجابري تختلف عن الشورى، وذلك من خلال قوله بأن الحديث عن الديمقراطية في الوطن العربي والمطالبة بها يعتبر مطالبة باحداث انقلاب تاريخي لم يشهد عالمنا لا الفكري ولا السياسي ولا الاجتماعي ولا الاقتصادي له مثيلاً.

تأكيدا للحديث السابق عن وجود فرق بين الديمقراطية والشورى يقول الجابري ان مفهوم الشورى هو "مفهوم يندرج في دائرة "مكارم الاخلاق" و "محاسن العادات" وليس في دائرة الفروض والواجبات.. ومن هنا كان الفقه الاسلامي حاليا– على كثرة ابوابه– من باب بعنوان "باب الشورى". اما مباحث المتكلمين في الخلافة فهي لا تتناول لا من قريب ولا من بعيد مسألة الشورى. وعلى كل حال فليس من الاصوليين المسلمين، فقهاء ومتكلمين، من جعل الشورى شرطا في الخلافة. ذلك ان التصور الفقهي /الاسلامي ينبني على ان الخليفة يكون مسؤولاً امام الله فقط وليس امام من بايعوه، سواء كانت مبايعتهم له عن رضى أو غير رضى، وبالتالي فهو لا يلتزم رأي الناس، لا عامتهم ولا خاصتهم. اذ المفروض فيه ان يطبق فيهم الشرع حسب ما يوصله اليه اجتهاده، ومن هنا

---

١) المصدر نفسه، ص١٢٩

٢) المصدر نفسه، ص١٢٩

٣)محمد عابد الجابري، حسن حنفي ، *حوار المشرق والمغرب* ،مصدر سابق ص١٩٨

اشترطوا في الخليفة: "العلم المؤدي الى الاجتهاد في النوازل والاحكام"[1].

يتبين لنا من الحديث السابق ان الجابري يتبنى الرأي القائل بأن الشورى "معلمة" وليست "ملزمة"، فمسألة الشورى في الاسلام، كما يراها الجابري، تبقى من باب النصيحة، من باب فضائل الحاكم وليس قط من باب الفروض والواجبات "فالشورى غير والديمقراطية غير حسب تعبير القدماء"[2]

اما بخصوص الديمقراطية والحاكمية، فيرى الجابري أن الديمقراطية في جوهرها هي "الشرك" على صعيد الحاكمية ولكن هنا يميز بين الحاكمية الالهية والحاكمية البشرية فيرى ان الديمقراطية هي الشرك على صعيد الحاكمية البشرية فيقول: "ان الديمقراطية في جوهرها ليست شيئاً آخر غير "الشرك" في الحكم. ان الايمان بوحدانية الاله هو حجر الاساس في عقيدتنا الدينية وهذا ما يجب ان نحافظ عليه، ولكن مع الايمان بأن كل شئ بعد الله متعدد ويجب ان يقوم على التعدد، وفي مقدمة ذلك الحاكمية البشرية التي يجب ان نسلب عنها قاطعاً باتاً صفة الوحدانية. واذن فما دمنا نحن العرب والمسلمين لا نؤمن بضرورة قيام الشريك في الحكم والسياسة ايمانا بضرورة نفيه في ميدان الألوهية والربوبية فإننا لا نستطيع ان نعطي الديمقراطية معنى ولا مضمونها: ابعادا فكرية واجتماعية واضحة"[3]

من الحديث السابق يتبين لنا ان ما يعنيه الجابري بالشرك هو المشاركة، وأن ما يعنيه بالحاكمية هو الحاكمية البشرية، وتأكيداً لقولنا هذا نجده يقول: "قد لا يستسيغ بعض القراء استعمال كلمة "الشرك" أو المساهمة أو ما أشبه..وأعتقد أنه من الضروري التحرر من مثل هذه الحواجز النفسية التي يخلقها مجرد الاقتران بين الكلمات الراجع الى السيولة اللغوية لا غير، ذلك لأنه بدون التحرر من تأثير السيولة اللغوية فإننا لا نستطيع أن نجد سبيلاً الى تكسير البنية الذهنية اللاشعورية التي يتم داخلها تعميم عقيدة التوحيد تعميماً غير مشروع يمنعه الدين نفسه ويحرمه، التعميم الذي يجعل مفعولها ينسحب على

---

١) محمد عابد الجابري، ***وجهة نظر نحو اعادة بناء قضايا الفكر العربي المعاصر***، مصدر سابق،ص١١٨

٢) المصدر نفسه،ص١١٨

٣) المصدر نفسه، ص١٢٤

مجال السلوك إزاء الحاكم انسحابها على مجال السلوك ازاء الله"[1]...(لاحظ توظيفه لمصطلحات: الشرك، الحاكمية).

وبناءا على ما سبق فإن الجابري يرى أنه "بدون الديمقراطية، أعني الشرك في الحاكمية البشرية، وبدون التعددية، تعدد الاصوات داخل الحزب والطائفة والعشيرة، بدون ذلك لا نهضة ولا وحدة ولا تقدم"[2].

## الديمقراطية والوحدة العربية :

سبق ان تحدثنا عن هذا الجانب ولكن ليس تحت عنوان مستقل كما هو الان، وقد اتضح لنا ان تحقيق الوحدة العربية مربوط بشكل او بآخر بتحقيق الديمقراطية، كما عرفنا ان الديمقراطية هي نفي للدولة القطرية وذلك انطلاقا من طرح مسألة الشرعية فيها..الشرعية الديمقراطية والشرعية التاريخية معاً. ذلك ان تجاوز الدولة القطرية لا يمكن تحقيقه الا من خلال الضغط الديمقراطي داخل كل قطر، وهذا لا يمكن ان يمارس مفعوله الا في وضعية ديمقراطية حقيقية ذلك ان "قيام جميع الاطراف العربية بتنازلات سلمية في اطار توازنات تحفظ لكل دولة قطرية ما ترغب فيه من استقلال داخل نظام عربي مبني على المصلحة المشتركة الضرورية لبقاء الدولة القطرية نفسها يقتضي قيام اوضاع ديمقراطية سليمة داخل القطر الواحد وداخل النظام العربي ككل ومن هنا اهمية العمل من اجل ارساء شرعية ديمقراطية وطنيا وقوميا. وهذا في الحقيقة هو الجهاد الاكبر..."[3]

لاحظنا كيف ان الجابري يعتبر ان الديمقراطية هي اليوم اكثر من اي وقت مضى ضرورة لا من اجل التقدم وحسب، بل وايضا من اجل الحفاظ على الوجود العربي ذاته. ولعل تجربة الوحدة بين مصر وسوريا قد اثرت على فكره كثيراً، وجعلته يطرح بجدية فكرة الديمقراطية ذلك انه يرى ان سبب فشل تجربة الوحدة بين مصر وسوريا "يرجع اولا وقبل كل شئ الى انها لم تقم على القوة فتحافظ عليها القوة ولا على العقل فيحافظ

---

١) المصدر نفسه، ص١٢٤

٢) المصدر نفسه، ص١٢٢

٣) محمد عابد الجابري، "افاق المستقبل العربي" ، *راية الاشتراكية*، ع١٢(آذار، ١٩٩٢) ص٥٢

عليها العقل، لقد كانت عملا ارتجاليا دفعت اليه ظروف معينة فكان لا بد ان تخضع لتقلبات الظروف.."[1]

ويرى الجابري ان قضية الوحدة ليست قضية تجزئة/وحدة فقط، بل ايضا قضية الانسان /المواطن العربي..فنحن، كما يقول الجابري، "نتحدث كثيرا عن "الانسان العربي" ولكن قليلا ما نستعمل عبارة "المواطن العربي" ذلك ان مفهوم "المواطن" لم يدخل بعد قاموس لغتنا، و لم يحتل بعد المكانة اللائقة به في تفكيرنا. ان فكرة "المواطن" المرتبطة بفكرة "المواطنة" وبالحقوق المدنية..الخ، كل ذلك غائب عن واقعنا واكاد اقول غائب حتى عن حقل تفكيرنا.."[2] اما ما نشكوه من غياب للديمقراطية غيابا كليا في بعض البلدان العربية، وزيف وفشل ما هو قائم من مظاهرها في بعضها الاخر، فإن هذا يعود، كما يرى الجابري، الى "كون الديمقراطية هي من خصوصيات المجتمع المدني، المجتمع الذي يعيش فيه الانسان مواطنا اي عضوا في جماعة بشرية تنظم حياتها مؤسسات ديمقراطية تضمن لكل فرد الحقوق والواجبات نفسها ويكون فيها الحاكم رئيس دولة ينوب عن الجماعة كلها وبرضاها وليس رئيس عشيرة او عصبة من الاقوياء بالمال او السلاح، وتكون فيها الشرعية السياسية مؤسسة على ديمقراطية حقيقية تضمن تداول السلطة وتمنع احتكارها سواء من جانب فرد او من جانب جماعة"[3] وعلى هذا فان هناك علاقة صميمة بين السير في الاتجاه الوحدوي التكاملي على الصعيد الاقتصادي والسياسي والثقافي وبين السير في طريق تمدين المجتمع العربي ككل...

مسألة أخرى يتحدث عنها الجابري، ولها علاقة بصورة أو بأخرى بالديمقراطية، الا وهي فكرة "الاقليم القاعدة"، والتي راجت في العقدين الاخيرين في اطار التنظير للوحدة العربية، وهذه الفكرة تربط امكانية تحقيق الوحدة العربية ببروز أحد الاقطار العربية المؤهلة لذلك، كقطر يدعو للوحدة ويجتذب الاقطار العربية الأخرى، فهذه الفكرة كما يقول الجابري: "تنبني على آلية..معرفية..خاطئة فاسدة، آلية قياس الوحدة العربية المنشودة على

---

١) محمد عابد الجابري، حسن حنفي ، ***حوار المشرق والمغرب***،مصدر سابق ص٥٢-٥٣

٢) محمد عابد الجابري، ***اشكاليات الفكر العربي المعاصر***، مصدر سابق،ص١١١

٣) المصدر نفسه، ص١٢٥

الوحدة التي تحققت في هذا القطر أو ذاك، وفي هذه المنطقة أو تلك "[1]..ذلك ان الحوادث التاريخية حوادث فريدة لا تتكرر..كما أن وجود مثل هذا الاقليم في منطقة ما، لا يعني أن المنطقة مؤهلة لأن تقوم فيها وحدة بين أقطارها..هذا عدا عما تسببه هذه الفكرة من فتور لحماس الاقطار الاخرى لان تكون أقليماً قاعدياً..خاصة وان كل دولة تتعصب لقطريتها...

أما عن فكرة "الزعيم البطل"، فإن الجابري يرى أن هذه الفكرة تقوم بالنسبة للوعي القومي العربي مقام "المهدي المنتظر" بالنسبة للوعي الديني في القرون الوسطى..وذلك خاصة أن البطل التاريخي ظاهرة تاريخية لا تخضع للقانون وأنما هي ظاهرة تقوم على التقاء سلاسل من الاسباب المتوازية والمتقاطعة وفي هذا المجال يرى الجابري أن "ربط مشروع تاريخي ضروري لتقدم الاقطار العربية كمشروع الوحدة بظهور قائد ملهم أو زعيم بطل معناه نقل فكرة الوحدة من مجال الواقع الى مجال..الاساطير.."[2].

إن طرح فكرة الزعيم البطل، في رأي الجابري، هي هروب لا شعوري من المسؤولية: مسؤولية مواجهة الواقع..وعلى هذا فإنه يعتقد أن "البطل التاريخي الوحيد الموجود باستمرار هو الشعب، ولكن هذا البطل لا يقوم بدوره التاريخي الا اذا تم تحريكه من خلال تنظيمات شعبية ومن خلال نضالات متواصلة متنامية يحركها ويوجهها ويقودها المثقفون وكل افراد النخبة الوطنية التي تحمل مشروع المستقبل وتبشر به"[3]...فبدلاً من انتظار "البطل التاريخي" "المهدي المنتظر" يجب العمل على بلورة نخبة وطنية مثقفة وواعية تبشر بالتغيير وتخطط له وتعمل على استعجال حركته وصيرورته.

---

١) محمد عابد الجابري، ***وجهة نظر نحو اعادة بناء قضايا الفكر العربي المعاصر***، مصدر سابق،ص٢١٠

٢) المصدر نفسه، ص٢١٢

٣) محمد عابد الجابري، ***اشكاليات الفكر العربي المعاصر***، مصدر سابق،ص١٦٥

## الاقليات:

رغم انه قد سبق ان تحدثنا عن الاقليات في موضوعات مختلفة من هذا البحث، الا اننا نفرد لها هنا قسماً خاصا، وقد سبق ان اوضحنا ان مشكلة الاقليات لا تعم الوطن العربي كاملا وسواء طرحت مسألة الاقليات في ثنائية الدين/الدولة او العروبة/الاسلام او غيرها فإن المسألة الجوهرية تبقى هي الديمقراطية. ويرى الجابري ان عبارة "الاقليات في الوطن العربي" عبارة غير ذات معنى او على الاقل سابقة لأوانها. الاكراد اقلية في العراق لا في "الوطن العربي" ككل وهم يعتبرون انفسهم كذلك. والمارونيون هم اقلية في لبنان وليس في الوطن العربي وهكذا..فلماذا نضم هذه الاقليات بعضها الى بعض لنجعل منها "اقليات في الوطن العربي". ان هذه العبارة لن يكون لها معنى الا عندما تقوم دولة عربية واحدة على مجموع "الوطن العربي". اما قبل ذلك فالعبارة لا تعبر عن مضمون حقيقي، وهي مضرة. اما قبل قيام الدولة العربية الواحدة، فالاقليات ستبقى اقليات داخل الدولة القطرية العربية لكل منها وضع خاص. هل نسمع مثلا بشئ اسمه "الاقليات في الوطن الاوروبي" مع ان أوروبا الان اكثر قربا من الوحدة؟...[1]

ويعارض الجابري اصرار بعض الكتاب في المشرق العربي على نقل مشكلة الاقلية والاكثرية الى المغرب العربي بالقول ان البربر اقلية "فهم ليسوا اقلية لا عدديا ولا اجتماعيا ولا اثنيا ولا هم يعتبرون انفسهم اقلية ولا اكثرية"[2] وقد عرفنا ان جميع السكان في المغرب العربي مسلمون لا يميزون بين العربي والمسلم، وان مسألة الاقليات هي مسألة تتعلق بالمشرق العربي بالدرجة الاولى، وهي تختلف من قطر الى اخر، وعلى هذا كانت دعوة الجابري الى النظر اليها على ضوء معطيات كل بلد وعدم تعميم المسألة لتشمل الوطن العربي ككل. وقد يعترض البعض على ما سبق ذكره ويقول نحن نتحدث عن "الاقليات في الوطن العربي" من موقع التفكير في دولة الوحدة العربية وهنا يقول الجابري "ليكن ذلك، ولكن الا يكون الطرح الايجابي والسليم للمسألة هو: "الديمقراطية في الوطن

---

١) محمد عابد الجابري، "حول الحوار القومي–الديني"، *المستقبل العربي*، مصدر سابق ، ص٤٠

٢) المصدر نفسه، ص٣٩

العربي"...في "دولة الوحدة العربية". ان التفكير في "الوحدة"، من منطلق مشكل "الاقليات" افساد لهذا التفكير وتخريب له.."[1]

ولما كانت مشكلة الاقليات، والطائفية الدينية، تخص كل قطر على حدى فإن الجابري يقول "ليس من حقنا ولا من اختصاصنا..وليس من حق اي مفكر عربي ولا من اختصاصه تنصيب نفسه نائبا عن ابناء هذا القطر او ذاك، من اقطار الوطن العربي، في التفكير في مشاكلهم القطرية الخاصة. وليس هذا الموقف منا تهربا بل هو موقف موضوعي علمي تفرضه المصلحة القومية..لان ما يحدث في الغالب هو ان المفكر العربي عندما يفكر في مشكل قطري يخص قطرا آخر غير القطر الذي ينتمي اليه يفكر فيه من منظور قومي وبالتالي يسقط في خطر التعميم.."[2]. ولكن هذا الخاص لا يحول دون مناقشة الموضوع في اطاره العام، فيرى الجابري ان مشكل الديمقراطية ببعديه السياسي والاجتماعي هو المشكل العام الذي يعاني منه الواقع العربي ككل من المحيط الى الخليج، ومنه تظهر لنا مشاكل كثيرة مثل: الاقليات، العلاقة بين الدين والدولة...وعلى هذا فإن احتواء مثل هذه المسائل انما يكون بتطبيق شعار الديمقراطية بكل ابعاده.

اما عن التعدد الثقافي الذي تحدثنا عنه سابقا عندما عرضنا للوحدة الثقافية العربية، فإن الجابري يقول: " والحل لمشكلة "التعدد الثقافي" الراجع الى تعدد الاقليات في الوطن العربي، لن يكون حلا قوميا حقا [الا]* بتوسيع دائرة الثقافة العربية القومية كي ما تضم بين جنباتها الثقافات الاقوامية تلك، وهذا يتطلب مراجعة مفهوم الثقافة العربية القومية"[3]. اما مشكلة اللغة، لغة بعض الثقافات المحلية، فإن الجابري يرى ان "الحل الطبيعي التاريخي لهذه المشكلة يجب ان يمر عبر تعميم التعليم وتعريبه ونشر المعرفة العلمية..فالتعددية في هذا المجال تنفي نفسها بنفسها، وتبقى اللغة العربية هي وحدها القادرة على الاحتفاظ بالتعددية وتجاوزها..وفي اطار هذا الاحتفاظ بالتعدد من اجل

---

١) المصدر نفسه ،ص٤٠

٢) محمد عابد الجابري، ***وجهة نظر نحو اعادة بناء قضايا الفكر العربي المعاصر***، مصدر سابق،ص١٠٠

* سقطت الكلمة من الطباعة وتم اضافتها، انظر المصدر السابق، ص١٧٥

٣) محمد عابد الجابري، ***اشكاليات الفكر العربي المعاصر***، مصدر سابق،ص٤١

تجاوزه، لا بد من تعميم منتوجات الثقافات الاقوامية المحلية والشعبية في الوطن العربي، ولتعميمها لابد من تعريبها، وفي تعريبها تجاوز لها وبالتالي ازالة صفة الاقوامية عنه"..[1] فالتواصل والمثاقفة في جو من الحرية والديمقراطية سيفتحان المجال بصورة طبيعية وجدلية بالعناصر الحية في التعددية وبالتالي بتجاوز هذه الاخيرة لمصلحة ثقافة قومية أكثر انصهارا وخصوبة. ومن هنا نلاحظ كيف ان الجابري يركز على مسألة التعليم ونشر اللغة العربية الفصحى وربما يعود ذلك الى تأثره بظروف المغرب العربي وخاصة فيما يتعلق بمسألة التعريب.

## المرأة:

عندما نطرح موضوع المرأة كأحد الموضوعات التي نناقشها تحت عنوان رئيسي وهو الديمقراطية، فإن ذلك انطلاقا من وعينا بان هذا الموضوع يمس الوضع الاجتماعي والاقتصادي كما يمس الوضع الثقافي، وهذه جميعاً لها صلة بصورة او بأخرى بالديمقراطية، كما ان لموضوع المرأة ذاته صلة مباشرة بالديمقراطية.

لعله من البديهي لنا ان نعرف ان الجابري لا يغبط المرأة حقها، وكيف له ذلك وهو ينادي بالديمقراطية والحرية؟..ولكن الجابري ينظر الى مشكلة المرأة في الوطن العربي على انها اساسا "مشكلة عدم تعميم التعليم"، فهو يقول: "ان مشكلة المرأة في الوطن العربي هي اساسا مشكلة عدم تعميم التعليم. ولا اعتقد ان هناك من يعارض بجد في تعليم المرأة ولا في فتح ابواب التخصصات امامها"[2].. "المشكل الحقيقي في ما يخص وضعية المرأة هو مشكل تعميم التعليم على البادية والمدينة، القرية والمدينة، وفتح المجال امام الجميع لكي يسير كل بحسب استعداداته الشخصية الى المرحلة التي بامكانه الوصول اليها على مستوى التعليم والتخصص.."[3].

اما عن الاحداث والمحاولات لتحجيم دور المرأة في المجتمع العربي باسم التمسك

---

١) المصدر نفسه،ص٤٣.

٢) فرحان صالح، حوار مع الجابري، "حول الثقافة العربية"، *المستقبل العربي*، مصدر سابق،ص١٥٣

٣) المصدر نفسه، ص١٥٣

بفهم خاص للدين والتقاليد الدينية فان الجابري يقول ان "مثل هذه الاصوات تنفي نفسها بنفسها عندما نشاهد بنات المتكلمين بهذه الاصوات او الناطقين بهذه الاصوات يمارسن حقوقهن الاجتماعية كاملة، واحيانا على مستوى الموضة"(١). لعل تركيز الجابري على مسألة تعميم التعليم والتي لا يمكن تحقيقها الا في اطار خطة تنموية عامة تعد ما يكفي من المدارس واماكن الشغل للمتعلمين والمتخصصين ذكورا واناثا. وقد لاحظنا سابقا كيف انه يركز على ذات المسألة في علاج مسألة "الثقافات الاقوامية".

ولعل تركيز الجابري على مسألة التعليم لم تأتي من فراغ، كما سبق ان ذكرنا، فإذا ما عرفنا ان فرنسا قد حاولت توظيف مسألة التعليم في سبيل فصل المغاربة عن ثقافتهم وهويتهم العربية الاسلامية، واذا ما عرفنا حجم المعاناة الكبيرة التي عاناها ، ويعانيها، ابناء المغرب العربي الكبير في هذا الاطار يمكن لنا ان نتوقع ان هذه الظروف كانت ذات تأثير كبير على فكر الجابري. فكان لا بد من التعليم لتوحيد الثقافة العربية الاسلامية وايجاد علاقة اتصال بين العرب وثقافتهم. هذا عدا عن كون التعليم مفتاح لفهم الواقع العربي وبالتالي محاولة تلمس الحلول لهذا الواقع وخاصة في ما يتعلق بنشر الديمقراطية في ارجاء الوطن العربي. وان كان تعميم التعليم يرتبط، بشكل او باخر، بالديمقراطية وحقوق الانسان الاساسية فها هو الجابري يؤكد ذلك بقوله ان التعليم " حق لا يساويه ولا يوازنه الا حق الحياة، وهل يمكن ان يكون هناك من معنى لحق الحياة في عصر اصبحت الحياة فيه تعني المعرفة والقدرة على اكتساب المزيد من المعرفة؟"(٢). وليس المجال هنا للحديث عن التعليم حتى نتوسع فيه اكثر فالنظام التعليمي العربي وما يعانيه من ضعف وقصور و..موضوع يطول الحديث عنه..

---

١) المصدر نفسه، ص١٥٣

٢) فهد الفانك، تحرير، ***الدولة القطرية وامكانيات قيام دولة الوحدة العربية***،مصدر سابق، ص٦٩

# الخاتمة

لعل قارئ هذا البحث قد لاحظ ان الباحث لم يكن يعمد، غالباً، الى تلخيص اهم النتائج التي كانت تتكشف من خلال طرح الموضوعات موضع الدراسة، ولكن مع ذلك يمكن للقارئ ان يلاحظ بكل وضوح، من خلال الفصول السابقة، اموراً كثيرة كان يهدف البحث إلى الكشف عنها، وفي خاتمة هذه الدراسة فإنه لا يسعنا الا أن نقدم للقارئ، ونلفت انتباهه، الى اهم الملاحظات والنتائج التي ظهرت في الدراسة:-

في الفصل الاول من البحث كان واضحاً لنا بشكل سافر كيف ان الجابري تأثر تأثراً عظيماً ببيئته الخاصة والعامة، فكان لها تأثير على فكره ومنهجه، واتضح ذلك جلياً من خلال فصول البحث الاخرى، حيث انه على سبيل المثال لا يقيم تمايزاً بين العروبة والاسلام، ويركز على التعليم لحل المشاكل المختلفة، ولعل ذلك يرجع الى المشاكل التي عانى منها المغرب من جراء الاستعمار، وخاصة مسألة اللغة العربية. كما أن الجابري تأثر بالمفكرين والفلاسفة المسلمين في المغرب العربي الكبير كإبن خلدون، وكذلك تأثره واعجابه بابن حزم وابن رشد والشاطبي، هذا عدا عن تأثره بالمفكرين الاوروبيين (مثل: فوكو، كانجيم، بارت...) وهذا ربما له علاقة بقرب المغرب من اوروبا حيث ان سبل التأثير تكون اكبر...اما معاصرته للمد الناصري، واوضاع الوطن العربي بشكل عام، فقد كان لها ايضاً أثر عظيم على فكره، ونرى ذلك من خلال طرحه لموضوعات مثل: الوحدة العربية، الديمقراطية، الاسلام والعروبة...كما تبين لنا أن يستعمل المنهج التاريخي..والمنهج التكويني البنائي ويركز على علم اصول التفكير وعلى المنهج النقدي...نقد العقل خاصة...ولا يخفي علينا تحيزه للعقلانية والديمقراطية...

اما في الفصل الثاني من البحث، والذي يتناول الوحدة العربية في فكر الجابري، فلعلنا لاحظنا كيف ان الجابري امتاز بالواقعية، الى حد كبير، في طرحه:وكان جريئا في ذلك، وان كنا نستطيع ان نستنطق نصوصه بأمور كثيرة، الا انه رغم ذلك فإن طرحة كان واقعياً بشكل عام. فمسألة الهوية ينظر اليها على انها مسألة وعي بها، وكانت نظرته الى الثقافة العربية كذلك عميقة حيث يرى أن العرب موحدون على مستوى الثقافة،

ولكن مع هذا هناك ثقافات فرعية، والسبيل الافضل الى التوفيق بين الفرعي والكل هو التعليم ونشر الديمقراطية. كما انه من خلال طرحة لمسألة الدولة القطرية قد يتضح لنا مدى واقعية طرح الجابري، وكيف انه يربطها بالتقدم، فالدولة القطرية هي واقع قائم ولكنها عبء على نفسها.. وهي نفي للوحدة، اما الحلول التي يقدمها الجابري للوصول الى الوحدة العربية فانه كان واقعياً في طرحة لمسألة الوحدة الممكنة...أيُّ وحدة يمكن ان تحدث بين اقطار الوطن العربي...كما انه يطرح مسألة الديمقراطية ونشر التعليم وتحقيق سيولة الكتاب...وذلك في سبيل السير بالبلاد العربية نحو التقدم والوحدة، وهذه جميعا، بلا شك، يفتقر اليها الوطن العربي ويمكن تحقيقها اذا توفرت الارادة لذلك. ولكن رغم الامور التي ذكرناها فان الجابري لم يبلور الملامح النهائية للمشروع النهضوي المنشود الذي يتبناه..اما طرحة لمسائل مثل تحويل:القبيلة الى اللاقبيلية، الغنيمة الى اقتصاد ضريبة، العقيدة الى مجرد رأي، فإن الباحث يرى ان هذا الطرح هو تحد كبير للواقع العربي القائم، وهي حلول لا تمثل برنامجاً كافياً للخروج من أزمة التخلف والتبعية والتشرذم.

اما في الفصل الثالث، والذي عالجنا فيه نظرة الجابري الى الاسلام، فقد اتضح لنا ان الجابري يعتبر ان الاسلام دين ودولة، عقيدة وشريعة، ديانة وحضارة، ملة وثقافة، ولكن مع هذا فهو يرى ان الاسلام لا يحدد الشكل الذي يجب ان تكون عليه الدولة، وانما ترك ذلك لاجتهاد المسلمين حسب ظروف ومتطلبات كل عصر. وهو يعيد ثنائية الدين/ الدولة الى مسألة الديمقراطية والعقلانية ويؤكد ان ظهورها ارتبط بالمشرق العربي. ومن جهة اخرى لاحظنا أن الجابري يدعو الى فصل الدين عن السياسة، وتجنب توظيف الدين لاغراض سياسية، ذلك ان هذا يؤدي الى الحرب الاهلية...وهنا نشير الى أن السياسة في فكر الجابري هي السياسة من منظور ليبرالي قائم على اعتبار المنفعة. كما ان الجابري يرى ان ثنائية عروبة/اسلام ورائها قضية سياسية ترتبط برد فعل العرب على سياسة التتريك...وهي ثنائية تخص فقط بعض اقطار الوطن العربي. اما بالنسبة الى تطبيق الشريعة الاسلامية، فإنه يرى ان النسبية كانت الطابع الذي طبع مسألة تطبيقها على مر العصور ، حتى في عصر الرسول (ص) والخلفاء الراشدين. وتجلى لنا في طرحة لمسألة تطبيق الشريعة، كيف انه ينظر من منظار نفعي لهذه المسألة، خاصة عند حديثه عن الجزية والتي

يربطها بتحقيق الوحدة، حيث انه يرى ان الوحدة يجب ان ينظر اليها على اعتبار ما ستحققه من منفعة للاقطار العربية، ولا داعي لطرح مسألة الجزئية...ومن جهة اخرة، فإن طرحة لمسألة الشورى، مثلاً، وتأكيده على ان الاسلام لم يحدد الشكل الذي يجب ان تكون علية الدولة وانما ترك ذلك لاجتهاد المسلمين..فإن الباحث يرى أن هذا الطرح انما هو نوع من اعطاء الشرعية الى الانظمة العربية والاسلامية، وان لم يكن هذا واضحاً بصورة مباشرة، فإنه يمكن استنطاق نصوصه–عن سوء نية–بهذا الامر!!.

وفي الفصل الرابع ناقشنا مسألة الديمقراطية في فكر الجابري وقد اتضح لنا كيف أنه يعتبرها مشكلاً يُرجع اليه الكثير من المسائل التي تطرح نفسها على الفكر العربي الحديث والمعاصر، مثل: الدين/الدولة ، العروبة/الاسلام، اللاقليات، تحقيق الوحدة، مسألة المرأة..كما لاحظنا كيف ان الجابري يعتبر أن الشورى (وهي تختلف عن الديمقراطية) غير ملزمة، وهنا يبدو ان الجابري يذهب الى تبني الرأي القائل بان الشورى معلمة وليست ملزمة علماً ان هناك من يقول أنها ملزمة (ربما هذا فيه تأكيد لما ذكرناه من اعطاء الشرعية للانظمة العربية). كما لاحظنا كيف ان الجابري يوظف مصطلحات الشورى والحاكمية في سبيل خدمة أفكاره، فينظر الى الديمقراطية على أنها الشرك (المشاركة) على صعيد الحاكمية البشرية، وهنا يميز بين الحاكمية البشرية والحاكمية الالهية. وتبين لنا، ايضاً، كيف أنه يربط بين تحقيق الوحدة ونشر الديمقراطية والتعليم. ويرى أن طرح فكرة الاقليم القاعدة وفكرة الزعيم البطل لا يخدم الوحدة العربية. أما الاقليات فإنها مسألة تخص بعض إقطار الوطن العربي ويجب النظر اليها حسب خصوصيات كل قطر...ويرى أن طرح مسألة الديمقراطية والعمل على نشر التعليم هو الطرح الاسلم لهذه المسألة. أما بخصوص المرأة في فكر الجابري، فإنه يعتبر أن مشكل المرأة هو مشكل عدم تعميم التعليم، والذي يعتبره حقاً لا يوازنه حق الا حق الحياة، خاصة في مثل هذا العصر الذي اصبحت الحياة فيه تعني المعرفة والتقدم والقدرة على اكتساب المزيد من المعرفة...

انتهى....

# المصادر والمراجع

## اولاً: الكتب:


- الجابري، محمد عابد، ***العصبية والدولة: معالم نظرية خلدونية في التاريخ الاسلامي*** (الدار البيضاء: دار الثقافة، ١٩٧١).
- الجابري، محمد عابد، ***نحن والتراث: قراءات معاصرة في تراثنا الفلسفي*** (بيروت: دار التنوير للطباعة والنشر، ١٩٨٥).
- الجابري، محمد عابد، ***الخطاب العربي المعاصر: دراسة تحليلية نقدية*** (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٢).
- الجابري، محمد عابد، ***تكوين العقل العربي*** (بيروت: المركز الثقافي العربي، ١٩٩١).
- الجابري، محمد عابد، ***بنية العقل العربي: دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية*** (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية ١٩٨٦).
- الجابري، محمد عابد، ***العقل السياسي العربي: محدداته وتجلياته*** (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٠).
- الجابري، محمد عابد، ***اشكاليات الفكر العربي المعاصر*** (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٠).
- الجابري، محمد عابد، ***وجهة نظر نحو اعادة بناء قضايا الفكر العربي المعاصر*** (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية ١٩٩٢).
- الجابري، محمد عابد، ***مدخل الى فلسفة العلوم: تطور الفكر الرياضي والعقلانية المعاصرة*** (بيروت: دار الطليعة، ١٩٨٢).
- الجابري، محمد عابد، ***مدخل الى فلسفة العلوم: المنهاج التجريبي وتطور الفكر العلمي*** (بيروت: دار الطليعة، ١٩٨٢).
- الجابري، محمد عابد، وآخرون، ***وحدة المغرب العربي*** (ندوة)، (بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٧).
- الجابري، محمد عابد، حنفي، حسن، ***حوار المشرق والمغرب*** (الدار البيضاء: دار توبقال للنشر، ١٩٩٠).
- الفانك، فهد، تحرير، ***الدولة القطرية وامكانيات قيام دولة الوحدة العربية*** (عمان: منتدى الفكر العربي، ١٩٨٩).
- زيادة، معن، ***الموسوعة الفلسفية العربية***، المجلد الاول (-: معهد الانماء العربي، ١٩٨٦).

## ثانيا: المقالات والدوريات


- الجابري، محمد عابد، "يقظة الوعي العروبي في المغرب:مساهمة في نقد السوسيولوجيا الاستعمارية"، ***المستقبل العربي***، ع٨٧ (أيار، ١٩٨٦).
- الجابري، محمد عابد، "التراث ومشكل المنهج"، ***المستقبل العربي***، ع٨٣(كانون ثاني، ١٩٨٦).
- الجابري، محمد عابد، "حول الحوار القومي - الديني"، ***المستقبل العربي***، ع١٣٠(كانون أول، ١٩٨٩).
- الجابري، محمد عابد، "العرب والغرب على عتبة العصر التكنولوجي "، ***الفكر العربي المعاصر***، ع٣٢ (تشرين أول، ١٩٨٤).
- الجابري، محمد عابد، "الفقه والعقل والسياسة"، ***الفكر العربي المعاصر***، ع٢٤ (شباط،١٩٨٣).
- الجابري، محمد عابد، "آفاق المسبقل العربي"، ***راية الاستقلال***، ع١٢ (آذار، ١٩٩٢).
- صالح، فرحان، حوار مع الجابري، "حول الثقافة العربية"، ***المستقبل العربي***، ع٩٢ (تشرين أول، ١٩٨٦).
- النجار، خالد، لقاء مع الجابري، " اعادة تأسيس التراث "، ***الفكر العربي المعاصر***، ع١٢ (أيار، ١٩٨١).
- فرح، نبيل، حوار مع الجابري، "النهضة العربية في مملكة العقل"،***آفاق عربية***، ع٤ (كانون أول، ١٩٨٤).
- مقابلة مع الجابري، ***الوحدة***، ع٤٣ (نيسان، ١٩٨٨).
- ندوه، "مستقبل العلاقات العربية-العربية"، ***المستقبل العربي***، ع١١٥ (أيلول، ١٩٨٨).
- ندوة المستقبل العربي، "مناقشة كتاب تكوين العقل العربي"، ***المستقبل العربي***، ع٧٠ (-،١٩٨٤).


*********